

وَبِهِ نَسْتَعِينُ



همسات

الشيخ حبيب الكاظمي

الطبعة: الأُولى ـ ١٤٤١ هـ

الناشر: نور المعارف

الإخراج الفني: السيد محمّد رضا الحكيم

المطبعة: نينوا ـ قم

الكميّة: ١٠٠٠ نسخة

نور المعارف للطباعة والنشر:

إيران: قم، شارع معلم، مجمع ناشران، رقم ٥٠٨

الهاتف: ٩٨٢٥٣٧٨٤١١٣٣+ الجوال: ٩٨٩١٠١١٠٤٥٣٨+

مراكز التوزيع:

إيران: قم، شارع سميّة، فرع ١٢، حوزة الأطهار عليهم السلام التخصصية

الهاتف: ٩٨٢٥٣٧٧٤٥٢٨١+

النجف الأشرف: شارع الإمام الصادق عليه السلام، فرع مصرف الرشيد،

مجمع المعارف، الهاتف: ٠٧٨٠٩١٨٠٤١٥

لبنان: بيروت، الرويس، شارع الرويس، بناية ناصر، دار الولاء

الهاتف: ٩٦١١٥٤٥١٣٣+ الجوال: ٩٦١٣٦٨٩٤٩٦+



الشيخ حبيب الكاظمي

نور المعارف
للثقافة والتطوير

سرشناسه: کاظمی، حبیب، ۱۳۳٦.

عنوان و نام پدیدآورنده: همسات / حبیب الکاظمی

مشخصات نشر: قم : نور معارف، ١٤٤١ ق = ٢٠٢٠ م = ١٣٩٩ش

مشخصات ظاهری: ١٧٦ صفحه/ رقعی.

شابک: ٢-٢٣-٦٣٥١-٦٢٢-٩٧٨

وضعیت فهرست نویسی: فیپا

یادداشت: عربی

یادداشت: کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع: اسلام - مطالب گونه‌گون

موضوع: اخلاق اسلامی

رده بندی کنگره: BP ١١

رده بندی دیویی: ٠٢ / ٢٩٧

شماره کتابشناسی ملی: ٧٢٦٩٤٦٨

فهرس المحتويات

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

في خضم التسارع التكنلوجي وتعدد وسائل الاتصال، أمسى القارئ بأمس الحاجة إلى المناهل الرصينة التي يستقي منها المدد الفكري المتمثل بالمنشورات المكتوبة والتي لاتزال لها الصدارة عند المثقف العربي. مهمة التصدي لتوفير المناهل العلمية والمصادر الفكرية، مسؤولية لابد من التصدي لها بشكل مدروس؛ للحفاظ على التراث الفكري وتطوير الأطروحة العلمية وتقديمها بأيسر سبلها وأبهى صورها للقارئ الكريم.

وقد أخذت مؤسسة نور المعارف هذه المسؤولية بالتصدي لنشر الكتب الأخلاقية والدينية التي يحتاجها القارئ الكريم، لاسيما في هذا الوقت الذي كثر فيه التأليف وتعددت مصادر النشر حتى أمسى القارئ أمام آلاف العناوين المطبوعة لايعلم غثها عن سمينها، مع غياب الرقابة العلمية الرصينة التي تحمل في صميمها المسؤولية الشرعية والأخلاقية في تقديم المائدة الفكرية للقراء الكرام.

إن منهج مؤسسة نور المعارف في التواصل مع القارئ الكريم يتمثل في الأمانة بتقديم الكتب الرصينة والأطروحات الفكرية التي تنبثق من فكر آل محمد عليهم السلام، تحت إشراف دقيق ومراجعة لكل مايحمله الكتاب المنشور من أطروحة فكرية. حيث نقدم في هذا الموسم للقارئ الكريم

مجموعة عناوين لكتب جديدة بأطروحة فكرية سلسة يأنس بها المطلع ويحصد من كنوزها ما يسعه إنائه.

وبين يدي القارئ الكريم نقدم كتاب «الهمسات»، ونعد القارئ الكريم بمزيد من الطبعات الأخلاقية والفكرية التي ستقدمها مؤسسة نور المعارف، سائلين المولى أن يجعلنا من الذين يحملون شعلة الفكر المحمدي لطالبيه، آملين أن نكون عند حسن ظن القارئ الكريم.

دار نور المعارف

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

من منن الله تعالى علينا أن وفقنا بين وقت وآخر، لتقديم مجموعة من الكتب، اشتملت على الكلمات الحِكَمِيّة في نقاط مركزة والتي وإن كانت متناثرة في أبواب مختلفة وموضوعات شتى، إلا أنه يجمعها جامع واحد متمثّل في قدح حالة من اليقظة في النفوس، لتكون بذلك مقدمة للسير نحو عالم القرب الإلهي الذي دعا اليه المولى عزّوجلّ بقوله: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾[1]، وقوله: ﴿فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبيلًا﴾[2].

فمنها:

- ما كان مما جرى به القلم في مناسبات وحالات مختلفة، فكان كتاب: «الومضات».
- ما كان مقتبساً منه، وذلك في كلمات قصار يسهل التأمّل فيها، ونشرها في أوساط السالكين لهذا الطريق، فكان كتاب: «القبسات»، وقد أسميناها بعد الزيادة والتعديل: «من ألقى السمع».

---

١) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.
٢) سورة المزّمّل، الآية: ١٩.

• ما قام به البعض مشكوراً من الإستماع لما ألقي من محاضرات وخطب، واستقطاع جمل مركزة منها، وتبويبها، فكان كتاب: «الهمسات» وهو هذا الكتاب الذي بين يديك. وبه نختم سلسلة الكتب المتناولة لآداب التعامل مع: ربّ العالمين، وأهل البيت عليهم السلام، والنفس، والمجتمع، كما هو واضح في فصول هذا الكتاب.

إن سر عدولنا عن الكتابة المسترسلة ـ كما هو المتعارف ـ إلى الكتابة ضمن نقاط مركزة، هو: أن طبيعة الحديث الذي يُراد إيصاله الى النفس، يناسبه إرسال المعلومة إلى الباطن، لقمة فلقمة ليسهل هضمها!

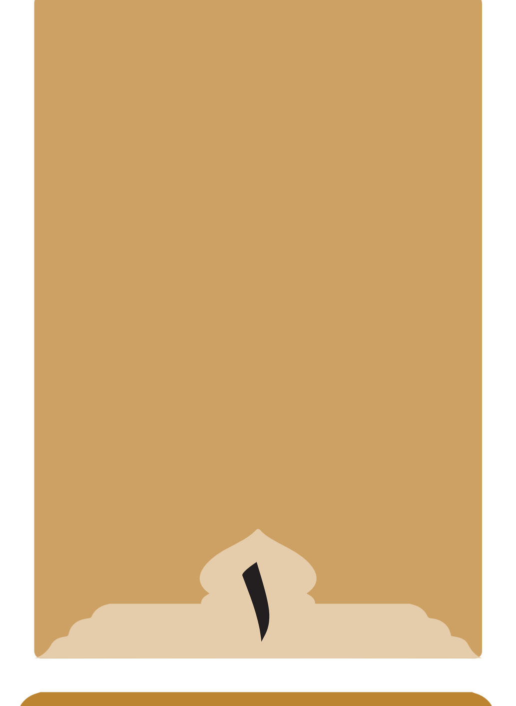
أضف إلى أنّ التأمل في الأفكار المقطّعة، وسريعة الفهم، والموجّهة إلى القلب، من موجبات إعانة القارئ على أن يرسم بنفسه ولنفسه خارطة الطريق إلى ربّه، بعد فهم المفردات والقواعد الكلية في هذا المجال.

وأخيراً فإن من موجبات رفع الهمّة هو الاعتبار ورفع الشعار، والذي تجمعه العبارات المركزة، وخاصة إذا كان السفر في الطريق الموحش مما يحتاج فيه إلى العمل والتطبيق؛ فيناسبه الكلام العملي والنقاط المركزة، كمن يُقبل على الامتحان فيحتاج إلى تلخيص أفكاره، من هنا كانت الحكمة ضالة المؤمن يبحث عنها؛ لأنها عبرة مركزة بكلام مختصر؛ ولتهدف هذه النقاط بالنتيجة إلى إشعال الروح لمريدي طريق القرب والباحثين عن الكمال والحب، جعلنا الله تعالى منهم، وحشرنا معهم، وأن يأخذ بأيدينا جميعاً إلى ما فيه سعادة الدارين بمنّه وكرمه.

حبيب الكاظمي

غرة شهر رمضان المبارك ١٤٤١هـ

أرض الغري المقدس



همسات في
العلاقة مع رب العالمين

١ - ما الفائدة من مناجاة العبد لربه بعبارات بليغة وفي حالة من الافتقار والتضرع والمسكنة، ولكن مع أبواب مغلقة وإعراض من الرب المتعال عنه؟!. وعليه فإنه يحتاج أولاً إلى طَرق جادّ على تلك الأبواب لتفتح له، ثم يَعرضُ ما لديه من حاجة.

٢ - إن الإقبال على الله تعالى في مناجاة خاشعة لا يكون إلا بمدد غيبي، وهي منحة إلهية، وإلا فما الذي يرفع هذا العبد الضعيف من مُلك الدنيا إلى ملكوت الحديث مع الرب المتعال؟!. ولهذا ينبغي الحذر من الإدبار بعد الإقبال مباشرة؛ لأنه كفر عملي بهذه النعمة.

٣ - إن الله تعالى قد يمنّ على عبده بحالة من الإقبال، ولكن الإعراض بعد الإقبال قد يعرّض العبد للحرمان الشديد. ولهذا فإن أولياء الله تعالى بقدر ما ينتابهم شعور بالفرح من منحة الإقبال؛ فإنه ينتابهم شعور بالقلق، خوفاً من عدم إعطاء هذه النعمة حقّها، والخوف من الشيطان الذي يغيظه ذلك؛ فيكون لهم بالمرصاد.

٤ - ينبغي للمؤمن أن يكون عبداً شكوراً لمولاه عزّ وجلّ على ما يهبه من نعم مادية أو معنوية، وخاصة بعد منحة الإقبال الروحي؛ فعليه أن يسجد ولو لدقائق معدودة شكراً لله تعالى على تلك النعمة. وقد كان المعصوم عليه السلام يبادر بالسجود فور تذكره لنعمة ما، ولو كان في مكان غير

مناسب - كالطريق مثلاً - وكأنّ تأخير السجود لا يناسب نِعمَ الله تعالى المسرعة إليه، وما تقتضيه من الشكر.

٥ - إن المؤمن بين الخوف والرجاء دائماً، فالخوف يدفعه للمراقبة، لينزجر تلقائياً عن كل ما يُغضب الله تعالى؛ لأنه وصل إلى درجة يرى معه البطش الإلهي، فهذا الغضب هو الذي يغنيه عن كل واعظ. أضف إلى أن رؤيته لذلك الجمال والجلال يدفعه إلى أن يكون راجياً لله تعالى في كل أحواله ومتملّقاً بين يديه.

٦ - إن المؤمن إذا انشغل قلبه بشيء انشغالاً مذهلاً عن ربه - ولو كان نورياً في جنسه - فقد وقع في الشرك الخفي الذي لا يلتفت إليه إلا الخواص من العباد. كالذي ينظر إلى علمه وعبادته ولما هو عليه من الملكات الحسنة، فهذه الأمور بدلاً من أن تكون نوراً يوصله لهدفه، فإنها تتحول إلى حجاب بينه وبين ربه؛ لأنه نظر إليها بذاتها وانشغل بها عن الهدف، ألا وهو الوصول إلى لقاء الله تعالى. فمثله كمثَل إنسان ينشغل كثيراً بتزيين دابته، إلى درجة يذهله ذلك عن ركوبها واستعمالها في الوصول إلى هدفه.

٧ - قد ينقطع المؤمن إلى الله تعالى في حالة من الإقبال في جوف الليل، أو حج أو عمرة أو زيارة، ولكن الانقطاع الكامل هو أن ينقطع عن كل العناصر في هذا الوجود، وفي كل زمان، وفي كل مكان، وفي كل حال، فإذا انطبقت هذه العمومات الأربع: عموم أفرادي، ومكاني، وزماني، وأحوالي، على حياة الإنسان، فقد حقق كمال الانقطاع المقصود. والانقطاع هنا لا يراد منه ترك الدنيا، بل عدم التعلق القلبي بها؛ لما يرى في قلبه من تجليات تذهله عنها.

٨ - إن ما يَهُمُّ المؤمن هو أن يكون معروفاً في السماوات عند الله تعالى وملائكته، ويكون صوته مألوفاً في الرخاء والشدة، وإن كان مجهولاً عند

أهل الأرض. ومن المعلوم أن هذه المعرفة هي التي تنفعه يوماً ما، وإلا فما هي قيمة الشهرة وحسن الذكر عند المخلوقين، إذا كان ساقطاً من عين الله تعالى؟!

٩ - إن الاستغفار هو وِرد المؤمن الدائم؛ فالمؤمن وإن سلِم من الذنوب برحمة الله تعالى وفضله، ولكن هذه الغفلات المتتابعة ألا تحتاج منه إلى استغفار جاد؟ حيث إنها نوع من الاستخفاف بمراقبة المولى عزّوجلّ له. فلئن كانت الشهوات داعية إلى الحرام، فإن الغفلات هي موجبة للبعد عن الله تعالى؛ لتحقق الإعراض عنه في درجة من درجاته.

١٠ - إن حالات العبد تختلف مع ربه: فتارة يعيش حالة الأنس الشديد؛ فيستثقل حتى الألفاظ التي تعبر عن مكنونات فؤاده، وينسى نفسه وحوائجه. وتارة يعيش حالة الافتقار والتذلل، بما يجعله يعدد طلباته واحدة بعد أخرى، ولا ضير في ذلك فإنه تعالى يحب أن يرى عبده بهذه الهيئة.

١١ - إن من المناسب للمؤمن استحضار ذنوبه السابقة بين يدي الله تعالى؛ لتثبيت حالة التذلل في نفسه لمولاه. ومن المعلوم أن هذه الحالة من الخجل والتقصير في حق الله تعالى لمن موجبات نزول الرحمة الغامرة على العبد.

١٢ - إن من آثار التحاق المؤمن بالنور الإلهي الذي يطلبه في المناجاة الشعبانية: «وَ أَلْحِقْنِي بِنُورِ عِزِّكَ الْأَبْهَجِ»[١] هو تحقق حالة المعرفة بالله تعالى، والزهد القهري عن كل ما سواه، والخوف الذي يدفعه للمراقبة في كل أموره، والرجاء لنزول ألطافه ورحمته. ومن المعلوم أنه كلّما اشتد ذلك النور قويت الآثار المذكورة آنفاً.

١٣ - إذا وصل المؤمن إلى درجة لا يرى معها مؤثراً في الوجود غير الله

١) إقبال الأعمال، ج٢، ص٦٨٧.

تعالى، وعلم أن الخير كلّه بيده، وأنه على كل شيء قدير، فهل يحتاج إلى أن يستجدي من الآخرين قضاء حوائجه، والحال أنه يعلم يقيناً أن الكل مفتقر إلى رحمته ومستمدة من مدده؟

١٤ - إن الله تعالى يُدخِل البعض في رحمته الخاصة، فيجنبه الوقوع في المعصية، ويحول بينه وبين ما تدعوه إليه نفسه من السوء. ولكنه أيضاً قد يختبر البعض ويَكِله إلى نفسه - خذلاناً - فيقع في المعصية تلو الأخرى، لتنكشف له حقيقة ضعفه وعدم صدقه في دعوى القرب من مولاه!

١٥ - إن من موجبات الطرد الإلهي: هو الكذب في طلب القرب ولو بمعناه الخفي. فالذي يريد القرب من الله تعالى وهو يعمل ما يوجب البعد عنه تعالى، والذي يعاهد الله تعالى بالتوبة وفي أول موقف يسقط ويخون عهده، والذي يقرّ بأنه لا معبود له إلا الله تعالى وهو يعلّق قلبه على كل فان، ألا يصدق على صاحب هذه المواقف أنه كاذب فيما يدّعي؟!

١٦ - إن العبد إذا كان في بيت الله تعالى واقفاً أمام الكعبة، فإنه قد لا يفكر في الحرام فضلاً عن الإشتغال بمقدماته لو أُتيح له ذلك الحرام وهو في مقامه؛ لأنه يستحضر حالة الوقوف بين يدي الله تعالى. فلو أنه وسّع هذه الدائرة ورأى الكون كله كبيته العتيق، واستشعر وجوده فيه كما استشعره وهو في المسجد الحرام، فهل تنازعه نفسه حينئذ إلى ارتكاب المعصية؟!

١٧ - إن الله تعالى - بحلمه - قد يتجاوز عما يرتكبه العبد من الهفوات، ويوقف تنفيذ العقوبة المقرّرة في حقه، ولكن العبد قد يرتكب ما يوجب الغضب الإلهي؛ فتحلّ عليه كل تلك العقوبات المعلّقة، وإذا به يقع في أنواع البلاء، وقد ينتكس انتكاسة بليغة ويُسلب منه حتى إيمانه، فيكون مثل ذلك الذنب كمثل القشة التي قصمت ظهر البعير!.

١٨ - إن البعض يُقصِر همّه في طلب المغفرة الإلهية؛ ليضمن ذلك الفوز العظيم، أي: دخول الجنة والزحزحة عن النار. ولكن هناك من يطمح لتحقيق الدرجات العليا، كالرضوان الإلهي والنظر إلى وجه الله تعالى، وهذا من أجلّ مقامات أهل الجنة التي يمكن الوصول إليها في الحياة الدنيا، ولو في درجة ضعيفة.

١٩ - إن أعلى مراحل التكامل هو: أن يجد الإنسان نفسه بين يدي الله تعالى دائماً، ويستشعر حالة المعيّة الإلهية في كل تقلباته، فيمتنع عن ارتكاب المكروه فضلاً عن الحرام، وذلك ما يُسمى بالعصمة الصغرى. فإذا كان الإنسان السويّ يستنكف عن عمل ما يوجب له الفضيحة بين الخلق، كيف به لو استشعر أنه أمام الخالق المتعال؟!.

٢٠ - يجب على من يريد أن يسمع الله تعالى صوته ويستجيب دعاءه، أن يتجنب كل ما يمنع إقبال الله تعالى عليه، وأن يعمل ما يوجب التفاتته إليه. وعلى العبد أن يتحايل في استجلاب هذه النظرة الإلهية، فيبتكر ما يوجب ذلك، وقد كان البعض من الصالحين يستلقي في قبر صنعه لنفسه؛ ليكون مذكّراً إيّاه بعالم البرزخ.

٢١ - إن الذي يرتكب الكبيرة عن جهل لهو أقرب إلى المغفرة الإلهية، قياساً إلى ذلك الذي يتجاهل أو يصرّ على تجاوز الحدود الإلهية ولو بالصغيرة، فإنه في معرض العقاب الشديد؛ لأن الله تعالى يعجّل في عقوبة من ينازعه في ملكه ويستهين بأمره.

٢٢ - ينبغي الإستعاذة بعد الأعمال الصالحة، وبعد كل وجبة إقبال على الله تعالى؛ لأن الشيطان يشحذ همّته لطعن بني آدم أيّما طعنة مباغتاً إياه، وذلك من منطلق حسده له، حيث إن جدّنا آدم عليه السلام سجد وهو عصى ولكن العبد الآن أطاع وهو أبى!.

٢٣ - إن المؤمن يرجو - وراء حالات الخلوة ليلاً مع ربه - هدفاً سامياً،

وهو أن يعكس آثار ذلك بالعمل نهاراً في خدمة الخلق، والأخذ بأيديهم إلى ما وصل إليه، وبذلك يتحقق معنى مناجاة الله تعالى سراً، والعمل له جهراً، كما في المناجاة الشعبانية.

٢٤ - إن البناء الإلهي على عدم سلب النعمة، إلا إذا قام العبد بما يخالف مقتضى تلك النعمة واستعمالها في غير ما يرضيه تعالى. فالذي يرى في نفسه هداية واستقامة نسبية، ثم يتوجه إلى المنكر قولاً أو فعلاً، فإنه قد يصل إلى مرحلة لا يجد فيها حلاوة الإيمان في قلبه، بل فيرى حلاوة الباطل في نفسه الميالة إلى الشهوات، وحينها يمتهن الحرام امتهاناً.

٢٥ - إن من آثار المحبة الصادقة: هو الإكثار من ذكر المحبوب، سواء المحبوب الأول وهو رب العالمين، أو المحبوب التبعي الذي أمرنا الله تعالى بحبه وولايته في طول حبه وولايته. ولهذا يصف النبي صلى الله عليه وآله الذين ارتبطوا بالحسين عليه السلام برابط المحبة بقوله: «**إِنَ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ حَرَارَةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَبْرُدُ أَبَداً**»[1]، فإن الحب الإلهي الذي يترشح على الولي، هو ما يوجب بدوره مثل تلك الحرارة.

٢٦ - من منّا لا يريد أن يعلم منزلته عند ربه، وخاصة أن سعادته في الدنيا والآخرة تتحدد من خلال منزلته عنده؟!. والآن انظر إلى قلبك، فبمقدار ما توقّره - وخاصة عند الهَمّ بالمعصية - فإنه ينظر إليك بعين الودّ والكرامة. أَلَمْ يصرح في كتابه الكريم: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[2]؟ ومن المعلوم ذلك الفرق الكبير بين ذكره لنا وذكرنا له، أَهناك نسبة بين المحدود واللامحدود؟!

٢٧ - ذكر تعالى في كتابه الكريم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾[3]، ومن مصاديق دخول العبد في رحمة الله

---

١) مستدرك الوسائل، ج١٠، ص٣١٨.
٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.
٣) سورة الجاثية، الآية: ٣٠.

تعالى، أن يكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان. فالذي يشكو من ضعف في نفسه فليتقرب إلى الله تعالى؛ ليحقق ما يوجب له الدخول في رحمته تعالى، ودلالته على طريق الفوز والنجاة.

٢٨ - إن الذي يرغب في التقرب إلى الله تعالى، عليه أن يثبت صدق رغبته في التقرب، عملاً بالمقتضيات ودفعاً للموانع، ثم يفوّض الأمر إليه. فلو أن إنساناً صار مُعجباً بأحدهم وصار يكثر من التودد إليه وزيارته، ولكن المزور لا يرى في زائره ما يوجب الإلتفاتة إليه، ولكن قد يكون إصراره في التقرب منه موجباً لتحقيق شيء من المودة بينهما؟ فما بُدء بالتصنع قد ينتهي الى الإنسجام.

٢٩ - إن العبد يكتشف درجة عبوديته لربّه من خلال الصبر على مكروه القضاء، فإذا اعتقد العبد أن هنالك من هو أولى بتولّي زمامه من نفسه، فهل يعيش حالة التبرم من تدبير الرب لأموره وهو الحكيم الخبير؟!.

٣٠ - إن الإحساس بالمعية الإلهية من أفضل ثمرات هذا الوجود، فالذي يصل إلى هذه المعية فلن يُحزنه شيء من آلام الدنيا وأسقامها، فما قيمة بدن سليم وصاحبه يعيش حالة البعد عن الله تعالى؟! وما ضرر بدن سقيم وصاحبه يعيش حالة الأنس والقرب منه؟!.

٣١ - إن الله تعالى قد لا يحقق للعبد كل أمانيه في دار الدنيا، وذلك ليميّزه في الآخرة بعطاء لا يخطر بباله. فلا ينبغي للعبد أن يتبرم من تأخر قضاء حوائجه، ما دام البناء على التعويض بالأعظم في ذلك العالم، فعلى العبد أن يدعو ثم يوكل الأمر لمن هو أعلم بمصلحته.

٣٢ - إن الغاية من خلق الله تعالى لعباده هو: إيصالهم إلى الكمال النهائي الذي يحقق لهم السعادة الأبديّة، فقد خلقهم تفضلاً منه، لا لحاجة منه إليهم وهو سبحانه الغني المطلق. فمن المعلوم أن ربّ العالمين

مستغرق في عزّه وجلاله وكماله ولا يحتاج إلى أحد من خلقه، فهو إله وإن لم يعبده أيّ مخلوق، وسيأتي يوم القيامة وينادي فيه: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾[1]؟ وإذا بالسائل هو المجيب نفسه قائلًا: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2]، إن ربّاً بهذه العظمة والقدرة ألا يجدر بنا أن لا نلتفت إلى من سواه؟

٣٣ - إن من صور تقديم القربان بين يدي الله تعالى هو: ما قامت به أمّ مريم عليها السلام، فقد كانت امرأة تحب بيت المقدس، وتحب أن تجعل ما في بطنها مُحرَّراً لهذا البيت، وما قامت به أمّ مريم عليها السلام لم يكن إلا نذراً ولكنها كانت صادقة في ذلك، فكانت النتيجة هو القبول الحسن والمباركة الإلهية لها، وإذا بالبركات تتعدّى من هذه الأم إلى ابنتها، ومن ثَم فإن بركات البنت تعدّت إلى ولدها وهو المسيح عليه السلام، وسيظهر أثره الكبير في زمان ظهور إمامنا المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٣٤ - إن الذي يقنع بالفقه الظاهري لا يصل إلى ملكوت العبادة، ومثَله في ذلك كمثَل من يريد لقاء ملك من الملوك ولكنه يكتفي بالتواجد في ساحة قصره، ومراجعة ما يُعرض في مكتبته من حياته وسيرته، فيحوم حول القصر دون التشرف بالمثول بين يديه. والحال أن الذي يدخل إلى ساحة القرب الإلهي، وينتقل من المُلك إلى الملكوت، لا يُخشى عليه من الارتداد عن الطريق، حيث أنه وصل إلى معدن العظمة.

٣٥ - إن المؤمن عندما يتقرب إلى الله تعالى بعمل من الصالحات، فليعلم أن هذا العمل في حدّ نفسه قد لا يؤثر كثيراً في تغيير مسيرة حياته، ولكن الله تعالى هو الذي يربِّي ما يرتضيه من الأعمال وينمّيها، فإن الأثر البليغ إنما هي للصدقة المنمّاة لا لأصل الصدقة، ولصلاة الليل المنمّاة لا لهذه البذرة التي غرسها في جوف الليل؛ فالمؤمن لم

١) سورة الغافر، الآية: ١٦.
٢) المصدر السابق.

يغرس إلا بذرة بسيطة، ولكنها اهتزت وربت وأنبتت - بفضله تعالى - من كل زوج بهيج.

٣٦ - من اللازم أن يعوّد العبد نفسه على عدم المبالاة بأذى الآخرين وسياط ألسنتهم الحادّة، فالإنسان مهما حاول أن يصفّي علاقته مع الخلق، إلا أن من لا يتوقعهم قد يقفون حجر عثرة أمامه. فإن رب العالمين لم يقطع ألسنة الناس عن نفسه، حيث يتّهمونه بعدم العدالة وسوء القضاء والتدبير الذي لا ينسجم مع أمزجتهم، ومع ذلك فإنه لا يعجل بعقوبة هذا الخلق المنكوس، فعلينا أن نتأسى بهذه الصفة الإلهية المقدسة في الصبر على قول الجاهلين.

٣٧ - إن الإنسان في بداية تكوينه في بطن أمه من أقبح الموجودات شكلاً، وإذا به يتحوّل من طور إلى طور، لينتج منه هذا الموجود البديع الذي يبهر الناظرين إليه، وفي عالم النبات نلاحظ أيضاً أن الله تعالى يبعث الحياة في الأرض الميتة، وإذا بتلك البذور اليابسة تدبّ على الأرض وردة في غاية الحسن والجمال. إن ربّ العالمين هو الذي يحيي العظام وهي رميم، وينزل الغيث من بعد ما قنطوا، ويخرجنا من بطون أمهاتنا ونحن لا نعلم شيئاً، وهو قادر على أن يعينك على أمر نفسك، ويجعلها في أحسن صورة، فاليد القادرة في كل ذلك واحدة!

٣٨ - إن الربّ الذي ينقش بقدرته في عالم التكوين ما ينقش من صور الجمال، قادر على أن يرسم الجمال في عالم الأرواح أيضاً، ولكن هنالك فرقٌ بين العالَمين: فالجنين في ظلمات الأرحام - بلسان حاله وتكوينه - يسلّم أمره إلى مولاه ليصوّره كيف يشاء، وكذلك النبتة في ظلمات الأرض، أما بالنسبة للأرواح فإن الأمر يحتاج إلى إرادة طوعيّة من الإنسان وطلب مؤكّد منه، فلا بدّ أن يتوسل بالله تعالى ويكثر من الطلب، ليكون حاله حال الجنين والبذرة، من جهة التصدي الإلهي

لإنباته نباتاً حسناً وتصويره في أحسن تقويم.

٣٩ - إن أردت أن تعلم ما لك عند الله تعالى من منزلة، فانظرْ ما لله تعالى عندك من مقام، والمقياس هو أنه لو دار الأمر في مورد بين رضا الله تعالى في مخالفة الهوى، وسخطه في اتّباع الهوى، فأيّهما تقدّم؟ وعليه فإنه بمقدار ما تراقب الله تعالى في سلوكك تكون لك منزلة عنده.

٤٠ - إن الكثيرين يدّعون الإيمان وما أسهل الادّعاء، ولكن الله تعالى يختبر كل إنسان مدّعٍ؛ ليكشف له حقيقة نفسه وما هي عليه، إذ قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[١]، فإن كان ادّعاؤه صادقاً كان من الفالحين، وإلا فليُعِد النظر في مدّعاه، فإن الناقد بصير!

٤١ - هل فكرت في أنك ممن يمكن أن ينطبق عليك قوله تعالى: ﴿نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[٢]؟ فمن المعلوم أن الذي ينساه الرحمن ليس له بعده إلا الهلاك والضياع، أَفهل يُرى راحم بعده؟ والملاحظ هنا أن العبد هو الذي ينسى ربه أولاً، فتكون العقوبة الإلهية بنسيانه ثانياً جزاء له، وإلا فليس من شأنه تعالى أن ينسى عبده الذي أحسن خلقه ثم دعاه الى نفسه!.

٤٢ - لو علم إنسان أن جهازاً يراقبه ليلاً ونهاراً، فهل يتجرأ أن يتحدث بما لا يرضاه مراقبه، أم أن القلق والخوف يتمكّن منه إلى درجة يراقب معها كل حركاته وسكناته، خشية صدور ما يوجب له الإدانة والعقاب؟ وعليه نقول: لو أنك أحسست بمراقبة الله تعالى لك كإحساسك بآلات المراقبة الصامتة، لاستحال أن تصدر منك المعصية، فلا تجعلنّ الله تعالى أهون الناظرين إليك!.

١) سورة العنكبوت، الآية: ٢.
٢) سورة التوبة، الآية: ٦٧.

٤٣ - إن من أقوى السبل لاجتناب المعاصي هو: استشعار الحب الإلهي، فكم تعظم على المحب أذيّة محبوبه إذا آذاه أحدهم بقول أو فعل، فكيف إذا كان هو بنفسه المؤذي لمن ادّعى محبته؟ إن المحب الصادق لا يقوم أبداً بما يوجب سخط وإعراض الحبيب عنه، بل هو حريص دوماً على رضاه، لا خوفاً من عقابه بل لأجل أن المحب لمن يحب مطيع، أَوَهل هناك سبيل أقوى من هذه الحالة الباطنية لتحقيق الوصال بالمحبوب؟!

٤٤ - لقّنْ نفسك الرضا بما قسمه الله تعالى لك؛ لأنه ليس لك ربّ قوي سواه، واغرسْ في نفسك حبّه، فليس لك محبوب وفيّ سواه، ومن أحب أحداً رضي بفعله، وعين المحب لا ترى إلا الجميل من المحبوب.

٤٥ - ما أجمل أن تكون لنا نظرة إلهية في التعامل مع الآخرين، وذلك بأن ننظر إلى كل فرد على أنه فرد من عيال الله تعالى، وإذا بذلك الحب المتجلّي للربّ المعبود يسري وينعكس على من هم معدودون من عياله، مع قطع النظر عن أي اعتبارات أخرى رحمية أو عرقية أو غيرها، وعليه فليحب أحدنا أخاه الإنسان لأنه مذكِّر بذلك المحبوب ولأنه شأن من شؤونه، فيُكنّ له كل احترام وتقدير.

٤٦ - إن حالة المؤمن عند الدعاء تعكس درجة علاقته بالله تعالى، فإن الحديث مع ربّ العالمين قابلية وتوفيق لا يتقنه إلا الخواص من عباده. فإن لأولياء الله تعالى خلوات ووقفات في جوف الليل، يناجون فيها ربهم بفنون الدعوات وذلك في ساعات طويلة لا يحسون فيها بكلل ولا ملل!.

٤٧ - ينبغي على المؤمن قبل البدء في الدعاء أن يسال الله تعالى في أن يفتح عليه أبوابه الخاصة، فإن من أشد العقوبات أن يكون المؤمن واقفاً بين يدي ربّه عزّوجلّ في جوف الليل وفي مظان الاستجابة، ولكنه

لا يجد في قلبه إقبالاً ولا خشوعاً، كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: **«إِنَّ للهِ عُقُوبَاتٍ فِي الْقُلُوبِ وَ الْأَبْدَانِ ضَنْكٌ فِي الْمَعِيشَةِ وَ وَهْنٌ فِي الْعِبَادَةِ وَ مَا ضُرِبَ عَبْدٌ بِعُقُوبَةٍ أَعْظَمَ مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ»**.[1]

٤٨ - إن البعض قد يحرص على أن يكون ظاهره خيراً من باطنه؛ ليكسب بذلك حسن الذكر بين الناس. ولكن الله تعالى إذا رأى في عبده حالة إصرار على ارتكاب المعصية في الخلوات، فإنه قد يدبّر له تدبيراً يوقعه في اختبار فاضح له؛ ليكشف عن جوهره بين العباد. فينبغي على العبد أن يكون حريصاً على ما يوجب له بقاء هذا الستر، وذلك بدوام التوبة والاستغفار؛ فالعبد العاصي محبوب عند الله تعالى ما دام في طريق التوبة والندامة.

٤٩ - إن المؤمن الذي تصعد روحه إلى الله تعالى في ساعة الموت، وهو يتمتم بذكر ربه، فإنه يختم حياته بأفضل ما يمكن أن يختم به، فطوبى لمن ختم حياته بالشهادة بوحدانية الله تعالى والشهادة لنبيه المصطفى صلى الله عليه وآله. ومن المعلوم أن الذين كانوا يلهجون في أسحارهم بخطاب ربهم قائلين: «يا رب» أو «يا الله»، هم الذي ينالهم التوفيق لأن يختموا حياتهم بهذا اللفظة المباركة.

٥٠ - إن الإنسان مجبول بالفطرة على أن يتعرف على ربّه، وكلما اشتد نور الفطرة في وجوده، تعمّقت هذه المعرفة أكثر فأكثر. فإن غاية المنى في هذا الوجود أن يعرف الإنسان ربه حقّ المعرفة. إذ أنّ هنالك فرقاً بين الطاعة التي تكون مع معرفة إجمالية، وبين ما تكون مترشحة من معرفة تفصيلية، بمقامات القرب من الجلال والجمال الإلهي.

٥١ - إن الإنسان عندما يقع في الأزمات والشدائد، فإنه يستغيث بربّه ويتوقع منه سرعة الاستجابة، وإذا تأخرت عنه إجابته فإنه يعيش حالة

---

١) تحف العقول، ص٢٩٦.

من التضجروالعتاب. وهنا نقول: إن الذي يسمع النداء الإلهي في الأذان فلا يلبي دعوته للصلاة بين يديه، كيف يتوقع سرعة الاستجابة منه عندما يناديه في الشدائد؟!

٥٢ - إن العبد عندما يدعو الله تعالى لقضاء حاجة، فليعلم أنه هو الأدرى بمصلحة عبده، فإما أن تستجاب الدعوة وتقضى له الحاجة معجلة كانت أو مؤجلة، أو أنها لا تقضى له ولكن يُعوض بخير منها في عرصات القيامة. وقد ورد عن الصادق عليه السلام: «**إِنَ الرَّبَ لَيَلِي حِسَابَ الْمُؤْمِنِ، فَيَقُولُ: تَعْرِفُ هَذَا الْحِسَابَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ! فَيَقُولُ: دَعَوْتَنِي فِي لَيْلَةِ كَذَا وَ كَذَا فِي كَذَا وَ كَذَا فَذَخَرْتُهَا لَكَ، قَالَ: فَمِمَّا يَرَى مِنْ عَظَمَةِ ثَوَابِ اللهِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ لَيْتَ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَجَّلْتَ لِي شَيْئاً وَ ادَّخَرْتَهُ لِي**»[1].

٥٣ - إن الله تعالى هو صاحب المال وقد جعلنا مستخلَفين عليه، ولكنه حينما يدعو عباده للإنفاق، يعبّر عن طلبه بالاستقراض، إذ يقول تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[2]، وكأننا نحن أصحاب المال وهوتعالى أجنبي عنه فيسألنا مالنا استقراضاً! وفي هذا غاية التلطف والتحبب منه إلى عبيده.

٥٤ - إن الحديث مع ربّ العالمين لا يحتاج إلى مقدمات أوبذل مال، أو حتى ذهاب إلى مكان خاص للعبادة. فمتى ما اشتاق العبد أن يكلّم ربّه، ما عليه إلا أن يتوضأ ويقف في محراب عبادته ويكبّر، وإذا به يصعد إلى الله تعالى في صلاة معراجيّة.

٥٥ - إن رأفة الله تعالى بعباده لا يمكن لأحدنا أن يتصورها، وما نراه من حنان الأمهات الرواحم ليس إلا شعبة من فيض حنانه جلّ وعلا، وهو الذي جعل غريزة الأمومة في قلوبهن إتماماً للمسيرة البشرية على

---

١) بحار الأنوار، ج٩٠، ص٣٧١.
٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

وجه الأرض، ولا شك في أنه بيده خزائن السماوات والأرض، وأنه يحب الخير لعباده ولا يرضى لهم الكفر والعصيان، ولكن العباد كيف يقابلون هذا اللطف وهذه المحبة؟ هل بحب وعرفان أم بتبغض ونكران؟!

٥٦ - إن ربّ العالمين هو الذي يتحبب إلى عباده بما يوجب الخجل حقيقة من هذا التودد وهو الغنيّ عنهم، وإن الله تعالى لأشد فرحاً بتوبة عبده، ممّن ضلّ راحلته في ليلة ظلماء ثم وجدها؛ لأن العلاقة بينهما علاقة الخالقية والمخلوقية، فكل صانع يحب ما أبدعه من الصنع. فالعجب من هذا الإنسان، كيف يواجه هذا التحبب والحنان بالتبغض والعصيان؟!

٥٧ - إن من دلائل فضل الله تعالى على عباده: أن جعل لهم الخلود الأبدي في الجنة، مقابل سنوات الطاعة القليلة، وقد يسلِم كافر لسويعات ثم يموت وإذا به يعيش الخلود في الجنة. وإلا فإن الله تعالى كان بإمكانه أن يجعل فترة التنعّم في الجنة مساوية لسنوات الطاعة في الدنيا، ثم يحيلهم إلى عدم.

٥٨ - إن الله تعالى كريم يعطي بكرمه من سأله ومن لم يسأله تحنناً منه ورحمة، وكما نقرأ في مناجاة الراجين: «**يَا خَيْرَ مَرْجُوٍّ وَ يَا أَكْرَمَ مَدْعُوٍّ وَ يَا مَنْ لَا يُرَدُّ سَائِلُهُ وَ لَا يُخَيَّبُ آمِلُه**»[١]. فلو أن كريماً من كرماء الدنيا قصده سائل، فردّه وهو قادر على إجابته، فإنه لا يُقبل منه ذلك، بل عُدّ خروجاً عن مقتضى الكرم والإحسان.

٥٩ - إن ربّ العالمين عندما يقول: ﴿وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ﴾[٢] فإن له فضله وعطاؤه الواسع، فخزائنه بين الكاف والنون ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾[٣]، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وما قيمة حوائجنا بين يديه

---

١) بحار الأنوار، ج٩١، ص١٤٥.
٢) سورة النساء، الآية: ٣٢.
٣) سورة البقرة، الآية: ١١٧.

تبارك وتعالى؟ فعلينا أن نحسن الظنّ به، وأن نكون واثقين بالإجابة عند السؤال، وكما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إِذَا دَعَوْتَ فَظُنَّ أَنَّ حَاجَتَكَ بِالْبَابِ**»[1].

٦٠- يحسن لمن يريد أن يسأل ربه أن يوسّع في دائرة طلبه فيدعو لنفسه ولغيره، فإنه لن ينقص من مُلكه الواسع شيء، فلندعوه كما ندعو في شهر رجب بهذا الدعاء الجامع إذ نقول: «**أَعْطِنِي بِمَسْأَلَتِي إِيَّاكَ جَمِيعَ خَيْرِ الدُّنْيا وَ جَمِيعَ خَيْرِ الاخِرَةِ، وَ اصْرِفْ عَنِّي بِمَسْأَلَتِي إِيَّاكَ جَمِيعَ شَرِّ الدُّنْيا وَ شَرِّ الاخِرَةِ**»[2]. ثم ما الضير في أن يحوّل المؤمن «ياء المتكلم لوحده» إلى «ضمير الجمع» لتعم الإستجابة إخوانه المؤمنين جميعاً، من دون أن يبذل جهداً سوى تغيير الضمير لفظاً؟.

٦١- إن العبد عندما يبلغ مبلغ القوة والرشد، ويشق طريقه في معترك الحياة، ويحوز على بعض المكاسب الدنيوية، وتصبح له مكانة مرموقة بين الخلق، فإنه ينسى أيام صغره وما قبلها، حيث كان جنيناً في بطن أمه، وينسى أصله حيث كان نطفة لا تذكر، فمن الذي كان معنا في ظلمات الأرحام؟ ومن الذي حوّل النطفة والبويضة إلى خلية ملقحة، وإذا بها تتكاثر لتشكل خلايا متعددة لتكوّن أعضاءه؟ ومن هذا المهندس البارع الذي وزّع هذه الأدوار بين الخلايا، لينمو البدن نمواً متوازناً؟

٦٢- إن الرب المتعال لا ينسى عباده، ولكن الإنسان الغافل هو الذي ينسى ربه، وذلك عندما يرى نفسه متمكناً، فيتملّكه الغرور بقدراته في تدبير شؤونه، وكأن له القدرة المطلقة والرأي الصائب على الدوام. ولهذا لو وقع خلاف ما يريد - كما في المصائب والشدائد - فإنه يجزع أشد الجزع ويتمنى خلاف ما جرى عليه؛ فيعاين حينها ضعفه وأنه كان في غرور كاذب.

---

١) الكافي، ج٤، ص٣١١.
٢) إقبال الأعمال، ج٣، ص٢١١.

٦٣- إن ربّ العالمين هو المدبر لشؤون خلقه أجمعين في كل مراحل الحياة، ولكن الملفت أن الإنسان في مقتبل عمره لا يفكر في هموم الدنيا ومشغلاتها لمحدودية دائرة وعيه، ولكنه عندما يكبر فإنه ينشغل فكره في كل صغيرة وكبيرة. والحال أن الذي أخذ بيده وحفظه من عثرات الحياة عندما كان صغيراً، لا ينساه أيضاً وقد صار كبيراً راشداً؛ لأن حاجة هذا المخلوق الضعيف إلى مدد ربه وفيضه لا تنتهي أبداً، وعليه أن يفوّض أمره إليه، ويطمئن من تدبير الربّ الرؤوف له.

٦٤- إن الربّ المدبر لشؤون عباده الذي ما نساك جنيناً في بطن أمّك فضمن لك غذاء، ولم ينسك طفلاً رضيعاً فأجرى لك لبناً سائغاً بين فَرْث ودم، كيف ينساك كبيراً وأنت تخوض في المحن والشدائد؟ إن الذي أخرجك من ظلمات الأرحام الضيقة إلى هذه الدنيا، أليس هو الأولى أن تتوجه إليه ليأخذ بيدك إلى فسحة من العيش حيث شاطئ الأمان؟

٦٥- كما أن الله تعالى صوّرك بقدرته وكرمه في ظلمات الأرحام، وأخرجك إلى عالم النور بأحسن صورة حيث وصف نفسه عندها بأنه أحسن الخالقين، فإنه بلطفه وكرمه قادر أيضاً أن يأخذ بيدك، وقد دخلت معترك الحياة. فَسَل الله تعالى - الذي جمّل هذا الجنين القبيح - أن يجّمل هذه الروح أيضاً، ويستأصل ما فيها من موجبات القبح.

٦٦- إن المؤمن يستشعر حالة المقت الشديد لنفسه بعد ارتكاب المعصية؛ لعدم مراعاته لهذه الحقيقة، وهي: أن الله تعالى مع أنه يراه فإنه يتبع هواه ويعصيه. ولكنه من الممكن أن تشمله دائرة الرحمة الإلهية، لو سارع في طلب عفوه، معترفاً أنه لم يكن في موقف المواجهة والتحدي لربّ العالمين، وأنه عندما عصاه ليس لاعتقاده بأنه لا يراه، وإنما ليقينه بستره المُرخى عليه.

٦٧ - إن من أسباب وقوع العبد في دائرة المعاصي، هي: الغفلة عن الله سبحانه وتعالى وهو العليم بما تخفي الصدور وتضمره من الخير والشر. فلو أن المؤمن وصل إلى درجة عالية من اليقين بأن الله تعالى مطّلع عليه في كل أحواله، لكفاه ذلك رادعاً له عن أيّة معصية. فلو أن الزوجين استحضرا مثلاً هذه الآية في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[1]، فهل يمكن أن يحدث أي خلاف بينهما حتى في جوف الليل، حيث لا رقيب ولا عتيد من البشر؟

٦٨ - من اللازم للمؤمن أن يعمّق من حالة المراقبة لديه، حتى لا يتورط في الوقوع بالمعصية، فإن ترك الحرام بشكل مطلق لا يتحقق إلا بالمراقبة المتصلة. إذ إن دعامة السير إلى الله تعالى هي المراقبة المتصلة للجوارح والجوانح معاً، ولا بدّ هنا من الإلتفات إلى قيد الإتصال في المراقبة.

٦٩ - إن مراقبة العبد تتحقق إما: من خلال الاستحضار الدائم للمقام الربوبي وتوقير الله تعالى في كل الحركات والسكنات، وإما من خلال النظر إلى ما ينقدح في نفسه من الخلجات الباطنية ومنع تأثيرها على الجوارح. وليُعلم أن من أتقن فن المراقبة بشقيه المذكورين آنفاً، فقد اجتاز مرحلة عالية في سير النفس وحركتها التكاملية إلى الله تعالى.

٧٠ - إن التوفيق إلى زيارة بيت الله تعالى من علائم الحب الإلهي، وما المانع لليائس من زيارة البيت الحرام - بسبب ظرف قاهر مالي أو غيره - أن يتمنى هذه الهبة الإلهية، من خلال ما ورد من الدعاء في شهر رمضان المبارك للتوفيق للحج، فإن الله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب.

٧١ - إن التكسّب طاعة من الطاعات التي ندَب إليها ربّ العالمين؛

---

١) سورة المجادلة، الآية: ١.

ليكفّ بها المؤمن نفسه عن ذلّ السؤال، ولكن المرجوح و المكروه هو السعي الزائد حرصاً على جمع المال بما يشغله عن أمر آخرته. ولهذا فإن المؤمن في دعائه في جوف الليل وغيره، يطلب من الله عزّوجلّ أن يكفيه أمر الدنيا والآخرة، ويرزقه ذلك الرزق المقتصد الذي ينطبق عليه عنوان الكفاف؛ فما قلّ وكفى خير مما كثُر وألهى.

٧٢- من الممكن القول بأن أشد المخلوقات ضعفاً هو الإنسان وخاصة عند صغره، فكم يحتاج وهو صغير إلى رعاية فائقة لسنوات طويلة حتى يبلغ سن الرشد والقوة، فمن الذي جعل هذا الحنان في قلوب الآباء والأمهات الحواضن، وحفِظه من الآفات حيث كان لا يملك لنفسه حولاً ولا قوة. فمن المناسب للمؤمن أن يسترجع ذكريات طفولته؛ ليشكر ربّه، وليزيد إيمانه وثقته به، فإن الذي ربّاه صغيراً كيف ينساه كبيراً أو يتخلى عنه في الشدائد؟

٧٣- إن الإنسان قد يتعرض في مرحلة من مراحل عمره، إلى تحقير الخلق له من جهة ضعفه أو فقره أو غيره. ولكن الله عزّوجلّ لو شاء لرفع ذكر عبده المؤمن بين الخلق وأعزّه بعد إيذائهم له. ومن أتم المصاديق لذلك أنه رفع ذكر حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله، وإذا بيتيم مكة الذي لا ناصر له ولا معين، يُرفع ذكره مع ذكر الله تعالى في اليوم على المآذن مرات ومرات.

٧٤- مما كان يتّفق في العصور الغابرة، فرار العبد الرقّ المذنب من سيده، وذلك خوفاً من عقوبته، فيهيمُ على وجهه في الصحراء بلا مأوى. ولكن ربّ العالمين هو المأوى والملجأ لعباده المذنبين، وهو كما نقرأ في مناجاة التائبين: «**هَلْ يَرْجِعُ الْعَبْدُ الْآبِقُ إِلَّا إِلَى مَوْلَاهُ أَمْ هَلْ يُجِيرُهُ مِنْ سَخَطِهِ أَحَدٌ سِوَاه**»[1].

---

١) زاد المعاد، ص٤٠٦.

٧٥- إن الله تعالى يحب التوابين كما جاء في الحديث القدسي: «**أَنِينُ الْمُذْنِبِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صُرَاخِ الصِّدِّيقِينَ**»[١]. والسبب هو أن الله تعالى يحب هذه الحالة من الاستحياء والتذللّ والتضرع التي تنتاب العبد المذنب، بخلاف العبد المطيع الذي قد يعيش حالة العُجب، فيمنّ على ربّه بما قد وفّقه من أعمال صالحة!

٧٦- إن التوفيق الإلهي يتمثل في تهيئة الأسباب وتسديد العبد لإيصاله إلى المطلوب وإلى ما يُوجب تكامله؛ فيسعد ويفوز في الدارين. أما الخذلان الإلهي فهو إيكال العبد الى نفسه، فلا يرى القبيح قبيحاً، ولا المنكر منكراً، فيرتكب ما يوجب تسافله، فيشقى ويخسر في الدارين.

٧٧- إن الإنسان بصريح القرآن خُلق ضعيفاً، ولولا فضل الله تعالى ما زكى منّا أحد أبداً، فإن طبيعة الحياة المليئة بالشهوات والغفلات، لا تسمح لهذا الإنسان الضعيف أن يترقى إلى مقامات الكمال العليا، فلا بدَّ من وجود قوة خارج ذاته تنتشله من تلك الوديان السحيقة، بجذبه إلى قمم السعادة والتوفيق.

٧٨- إن الإنسان يميل بطبعه إلى الغفلة، ولا يذكر ربه إلا في وقت الأزمات. ولا سبيل لتحويل الذكر المتقطع إلى ذكر دائم إلا بالحب، فإن صورة المحبوب لو انتقلت من الفكر إلى القلب، فإنها لن تفارقه أبداً ما دام ذلك الحب كامناً فيه، وعندها يصير في ذكر دائم. وعليه فإن المؤمن الذي يحمل في قلبه الحب الإلهي، يتحول - بلا تكلف - إلى إنسان ذاكر لربّه على الدوام.

٧٩- إن من يريد الوصول إلى بعض الدرجات الكمالية، لا بدّ أن يعلم أن العطاء المعنوي ليس كالعطاء المادي الذي قد يُرزقه العبد بصلاة أو دعاء. فإن مقام القرب مقام متميز، ورب العالمين لا يعطيه إلا للخواص

---

١) شعب الإيمان (للبيهقي)، ج٩، ص ٣٩٦.

من عباده، وهو يحتاج إلى مجاهدة وسعي مستمر بعد الدعاء الحثيث.

٨٠- إن الذي يشرق البرهان الساطع في قلبه ويصل إلى درجة الانكشاف القلبي، تزول عنه الحجب فتحصل له حالة اليقين بما هو مرتبط بعالم الغيب، كما يرى بعينه ما في عالم الشهادة. ومن هنا ترى حالة الانضباط عند الخواص؛ لأنهم يرون الله تعالى في قلوبهم، كما لهم يقين برؤية الله تعالى لهم ومراقبته إيّاهم، ومن هنا لا يحتاج أحدهم إلى زجر لترك المنكر مثلاً. ويُروى في هذا المجال أن أحدهم سأل أمير المؤمنين عليه السلام: «**هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟** قال عليه السلام: **مَا كُنْتُ أَعْبُدُ رَبّاً لَمْ أَرَه**»[1] وفي نص آخر كما نسب اليه عليه السلام: «**ما رَأيتُ شيئاً إلّا و رَأيتُ اللهَ قَبلَهُ و بَعدَهُ و مَعَهُ**»[2].

٨١- إن معرفة المؤمن بحقيقة ضعفه وطبيعة نفسه الأمارة بالسوء، وغلبة الشهوات عليه وكثرة الغفلات منه، تجعله يعيش حالة التذلل والافتقار والاستغاثة بخالقه، طالباً منه أن يأخذ بيده ويسوقه إلى مرضاته، كما يسوق النحلة إلى خليتها سوقاً.

٨٢- إن الله تعالى جعل للإنسان حريّة الإرادة والاختيار في العمل خيراً وشراً، ولكن ذلك لا يُخرجه عن دائرة الإرادة الإلهية، فإن الله تعالى قادر على أن يتصرّف في حياة بني آدم، وذلك في عالم التكوين والأنفس معاً، توفيقاً وخذلاناً. وذلك لا ينافي التكليف ولا يسلب الاختيار، فالإنسان منه الارادة والعمل، والله تعالى منه تفعيل الأسباب سلباً أو إيجاباً، فإن كانت تهيئة الأسباب للعمل الصالح سمي ذلك توفيقاً، وإلا سمي خذلاناً.

٨٣- يتفق كثيراً أن العبد يميل إلى فعل الحرام، ولكن الله تعالى يحُول بينه وبين قلبه، فيجد نفوراً في نفسه من ذلك الميل. أو أنه يقدِم

---

١) التوحيد (للصدوق)، ص١٠٩.
٢) شرح الأسماء الحسنى، ص١٨٩.

على ارتكابه فتتعسر عليه الأمور؛ لأنه تعالى تدخل في عالم الأسباب ولم يمكّنه من ذلك. فما دام الأمر بيده سبحانه - في عالم الأسباب والقلوب - ألا ينبغي للعبد أن يتوكل عليه حقّ التوكل، حتى يوفقه لما فيه الفوز والرضوان، ويخرجه من دائرة الهلاك والخسران؟

٨٤ - لو أن العبد اعتقد بقدرة الله تعالى ورأفته بأعلى صورها، فمن الطبيعي أنه يتوكل عليه ويفوض أموره كلها إليه. فالتوكل فرع الاعتقاد بقدرة من توكل عليه المتوكل والاعتقاد برأفته، فإذا رأى المتوكل القدرة والرأفة في وكيله، فمن الطبيعي أن يتوجّه إليه ويتّخذه وكيلاً، وكفى بربك وكيلاً.

٨٥ - من المناسب في الأدعية التي تبتدئ بكلمة «اللهم» أن يتريّث فيها العبد قليلاً، لكي يستحضر حالة الخطاب الإلهي. ثم لو أن إنساناً كان له موعد لقاء مع من يهمّه اللقاء معه، فكم يستعد نفسياً وبدنياً لهذا اللقاء. وهكذا فإن الدعاء له آدابه، فمثلاً من يريد أن يدعو ربّه، فعليه أن يجلس على مصلاه جلسة العبيد مؤدّباً، مستقبلاً القبلة، ومتطيباً، ولابساً أنسب ثيابه، ثم يقول: «اللهم» بتوجه ويدعو بما يريد.

٨٦ - إن التعلق القلبي بشيء يحصل بأمرين: تصور كمال المحبوب، وتصور نفعه وما يمكن أن يصدر منه من الإحسان. وبذلك تتحقق عنده حالة انجذاب قهري بينه وبين ذلك المحبوب. وكلما اشتد الاعتقاد بالشيء والتصديق بنفعه، اشتدت حالة الانجذاب نحوه في النفس. فالذي يؤمن بالله تعالى، ويؤمن بأنه النافع الضار، تتحقق عنده حالة الحب الإلهي، وكما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِلّهِ﴾[١].

٨٧ - إن الناس في الحب المجازي الباطل كم يتفانون إلى درجة إزهاق النفس في سبيله؟!. ألا يحق للمؤمن أن يعاتب نفسه، فيما لو لم يكن

١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

على درجة يعتدّ بها من التعلق بعالم الغيب؟ لأنه إما أن يكون شاكّ في وجود من ينبغي حبه، أو شاكّ في أثر هذا حبّه له. وإلا فإنه عندما يتحقق عنده الاعتقاد بالوجود والفائدة معاً، فإن من الطبيعي جداً أن ينقدح في قلبه ذلك الحب، بل حب كل أمر يحببه إلى ذلك المولى العظيم، فيعبد الله تعالى ويتقرب إليه حباً، لا خوفاً من النار، ولا طمعاً في الجنة.

٨٨ - لا ينبغي للعبد أن ييأس في مسيرته التكاملية، فإن الله تعالى هو الذي إذا شاء رفع الإنسان من أسفل الدرجات إلى أعلى الدرجات. مثْلَما نقله من عالم النطفة القذرة إلى عالم الخلق البديع، وشقّ فيه السمع والبصر، وجعل له الفؤاد المدرِك.

٨٩ - إن المؤمن لا يلتفت إلى ما سوى الله تعالى إلا بمقدار الضرورة في كل شؤون حياته، وشعاره في الحياة: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾[١]، و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[٢]، ولهذا فإنه يسعى في حياته سعياً متوازناً معقولاً، عملاً بما ورد في الروايات من الحثّ على الإجمال في الطلب، وذمّ الاستغراق في طلب المال.

٩٠ - إن من أعظم النعم هي نعمة الأمن والأمان، ومن هنا فإن المؤمن يسأل الله تعالى أن يُؤمّنه من جميع ما يخاف ويحذره، في النفس والبدن والمال والأهل، ويكفيه من شر الأعداء، فإن المؤمن باستكانته وتضرعه يمكن أن يطلب من الله تعالى تأميناً شاملاً في كل شؤون الحياة.

٩١ - هناك قضاء وقدر من الممكن أن يردّه الدعاء، وهناك نوع آخر قد أُبرم ولا يردّه حتى الدعاء، ومن هنا فإن المؤمن يسأل ربه أن يصبّره على الأقدار التي جفّ القلم فيها. ولا خلاف في أن الصبر على البلاء درجة عالية، ولكن الأعلى منه هو الرضا والتسليم لما يريده الله تعالى.

---

١) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

٢) سورة القصص، الآية: ٨٨.

٩٢- هناك فرق بين إنسان صابر ومستسلم، وبين إنسان لا يحب إلا ما أحبه المولى. ومن هنا نعلم سر عظمة يوسف عليه السلام فلو أنه قال: ربي السجن أصلح لي، لم يكن ليصل الى ما وصل إليه ولكنه: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[1]، فأيّ عبد لا يتمنى أن يكون بجوار الملكة وزوجة العزيز يومئذ؟!. ولكن يوسف عليه السلام رأى أن هذا الاقتران يصدّه عن ذكر الله تعالى، فلا مجال للاختيار بين هوى النفس ورضا ربّه؛ ولهذا صار صدّيقاً، وآتاه الله تعالى المُلْك، وعلّمه من تأويل الأحاديث، وكُتب له الخلود إذ أُختُصّ اسمه وذكْره بسورة من القرآن الكريم.

٩٣- ينبغي للمؤمن أن يعيش حالة الاستغفار المستمر؛ لئلا يُبتلى بتبعات ما يرتكبه من ذنوب وهفوات. وقد ورد أن يوسف لمّا قدم عليه يعقوب عليهما السلام - بعد أن أصبح على خزائن الأرض - لم يعمل بتكليفه الأتمّ في إظهار احترام أبيه. فهو وإن لم يرتكب حراماً بذلك إلا أنه ارتكب خلاف الأولى الجائز على الأنبياء، فسُلب منه الفضل الإلهي المتمثل بكون النبوة في عقِبِه. ولهذا فإن المؤمن على حذر ووجل، حيث يُراقب سلوكه مراقبة دقيقة؛ لئلا يُبتلى بالعقوبة المهلكة أو سلب التوفيق.

٩٤- إن المعرفة التي توجب للمؤمن الخشوع هو أن يعتقد اعتقاداً راسخاً بوجود الله تعالى، ويعرف صفاته الجمالية والجلالية، أي: أن يبلغ يقينه بالغيب وإيمانه بالله تعالى كإحساسه اليقيني بعالم الشهود. وأما الطريق لتحصيل هذه المعرفة فهو أمران: التأمل في النفس، والإشراقات الإلهية في القلب.

٩٥- إن الإنسان بطبعه أسير للإحسان وأسير الجمال، والله تعالى هو واجد للصفتين: صفة الإحسان بأعلى صوره، وصفة الجمال بأحلى تجلّياته. ومن هنا فإن الذي يعرف ربه بهذه الحقيقة، أي: بأنه أحسن

---

١) سورة يوسف، الآية: ٣٣.

المحسنين إذ وجودنا رشحة من رشحات فيضه، وأنه خالق الجمال في الطبيعة والإنسان، فمن الطبيعي أن تتحقق عنده حالة الحب الذي لا يقاس به حب بشري، وعندئذ يتحول إلى وجود خاشع بين يدي ربّه.

٩٦ - إن المؤمن إذا وصل إلى درجة الخاشعين فإنه يتقن عبادته ويستلذ بها، فإن الحديث مع المحبوب من أفضل صور المتعة في الوجود. و لهذا تراه يمتثل الأوامر الإلهية تعبداً، دون أن يبحث عن منفعة في العمل بالواجبات، أو يدفع عن نفسه مفسدة في ارتكاب المحرمات.

٩٧ - لا بدّ للمؤمن من قراءة القرآن الكريم قراءة واعية، متدبراً في معانيه، حتى يتحول القرآن الكريم إلى منهج في حياته يستضيء به. ومن الأفضل أن تكون التلاوة بصوت جميل، فإن ذلك أدعى لإثارة المشاعر الباطنية وخاصة إذا اقترن بالحزن أيضاً.

٩٨ - من الظواهر الخاطئة في المجالس التي تقام لتلاوة القرآن الكريم: أن الأغلب ينشغل بالكلام فيما بينهم بما يشغلهم عن الإنصات المأمور به شرعاً، وهم غير ملتفتين إلى أن هذا فيه هتك للقرآن الكريم من غير قصد. وهذا الهتك قد لا يعوّضه ثواب التلاوة الذي يريد أن يكسبه صاحب المجلس، ألم يجعل الله تعالى الإنصات حين القراءة في مظان الرحمة؟

٩٩ - من اللازم لمن يريد أن يستفيد من كلام الله تعالى - حقّ الاستفادة - مراجعة ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم، فإن العترة هم عِدْل القرآن الكريم، وهم المخاطبون بالقرآن الكريم، وإنما يعرف القرآن من خُوطب به.

١٠٠ - إن المؤمن المنشرح صدره يتقبل الدين بكل وجوده، ومن هنا فإنه يكون على نور من ربّه في شتى شؤون حياته: إقداماً أو إحجاماً. ولا يتبرم من الحكم الشرعي إذا كان على خلاف مزاجه؛ لأنه يرى نفسه

عبداً لا حقّ له في الاعتراض ولو في داخله.

١٠١ - إن ذكر الله تعالى ليس وقفاً على الألفاظ فحسب، بل المطلوب هو ذكر الله تعالى عند الحلال والحرام، وخاصة قبل الاقتحام في المعصية، فإن هذا هو الذكر الذي ندبت إليه الروايات.

١٠٢ - من المناسب للمؤمن أن يعتمد على هذين الأمرين في مواجهة مشاكله الحياتية: الأول: السعي البشري لحل المشكلة بقدر وسعه وطاقته، والثاني: تفويض الأمر إلى الله تعالى.

١٠٣ - إن البعض يخاف من الموت؛ لأنه يرى فيه حرماناً مما كان يأنس به. ولكن المؤمن يتمناه؛ لأنه يعتقد بأنه بداية للسعادة الأبدية والأنس بجوار الله تعالى، ونهاية للمتاع الزائل الممزوج بالنكبات.

١٠٤ -لو قرن المؤمن العبادة بتصور المحفزات، و قرن المعصية بتصور العقوبات، فإنه سيتحرك تلقائياً لما يرضي الله تعالى. فالذي يربط بين الموت وبين ملذات عالم البرزخ والقيامة والأنس بجوار أرحم الراحمين، فكيف لا يشتاق إلى الموت؟ والذي يربط بين الحرام وبين أهوال الموت، فكيف لا يرتدع ويزهد في الحرام؟

١٠٥ - إننا صائرون إلى لقاء الله تعالى عند الموت شئنا أم أبينا، ولكن يمكن للمؤمن أن يحقق ذلك اللقاء وهو في الدنيا، عن طريق التقوى والمسارعة في الصالحات وخصوصاً إتقان الصلاة.

١٠٦ - إن المؤمن من خلال المراقبة المنتظمة يحاول جاهداً أن لا يجعل تبعة على نفسه، وذلك فيما يتعلق بينه وبين الخالق، فقد يُعفى من بعض البلاء، فإن الله تعالى قد يجمع للبعض سعادة الدنيا والآخرة، ومن منّا لا يحب أن يعيش هذا المصير الجميل؟!

١٠٧ - إن ما يميز الإنسان عن سائر الخلق، هو: سعيه في تحقيق هدف الخلقة، ألا وهي العبودية لله تعالى، وليس طلبه للرزق وتدبيره

لشؤون المعيشة. وإلا فما الفارق بينه وبين الحيوانات التي تبحث عن الطعام لها ولصغارها، وتبحث عن أنثى لقضاء وطرها وتكثير نسلها؟!

١٠٨ - إن البعض من المؤمنين وصل إلى درجة لا يفكر معها إلا فيما يرضي الله تعالى، ولو فكر سهواً بما يوافق الوهم أو الشهوة، أوقف تفكيره باختياره وأرجعه إلى رشده. فإذا كان أحدهم قادراً على السيطرة على جوانحه، فكيف بجوارحه؟

١٠٩ - إن الأولياء لهم في كل حركة هدف، وشعارهم في الحياة «ما للعب خلقنا»! فعلينا أن نقاطع اللّهو في حياتنا بكل صوره، فمتى يستيقظ الإنسان من غفلته؛ لئلا تشغله أي صورة من صور اللّهو عن الأنس بالله تعالى وبعبادته؟

١١٠ - لو أن إنساناً وقع في موقف شبيه لذلك الذي وقع فيه يوسف الصديق عليه السلام، فإن طبيعته الشهوية تدعوه إلى الاستسلام للغريزة وتفضيلها على النعيم الأبدي المؤجل. ولكن شتان بين من يفرّ من المعصية فرار الراغب في رضوان الله تعالى، ومن يفرّ إلى المعصية حيث الغضب الإلهي! وشتان بين فرار زليخا إلى يوسف عليه السلام وفرار يوسف عليه السلام منها!

١١١ - إذا رأى المؤمن في نفسه ميلاً إلى شيء، فعليه أن يتّهم نفسه، ويتأمل في دوافع ذلك الميل، وهل إنه مما يرضي الله تعالى؟ لأن النفس بطبيعتها ميّالة إلى اللّهو واللّعب وأمّارة بالسّوء، إذ إن كل ما وافق الهوى مشكوك فيه.

١١٢ - إن الفرح الذي يكون منشؤه حيازة شيء من متاع الدنيا، قد يوجب لصاحبه البطر والغرور وسوء العاقبة كما كان لقارون، الذي كانت مفاتيح خزائنه تنوء بالعصبة أولي القوة، ولكن ما فائدة هذه الكنوز التي أصبحت وبالاً عليه؟! أما المؤمن المراقب لنفسه فإن فرحه

إنما يكون بعد كل توفيق لعمل يقربه من الله تعالى، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[1] حيث تفيد الآية حصر الفرح بالذكر.

١١٣ - إذا رأى المؤمن أن الله تعالى يُملي له بالنعم والحال أنه يرتكب المعاصي، فينبغي له أن يجأر إلى الله تعالى، لا أنه يفرح بتلك النعم؛ لأنها ليست إلا استدراجاً، وليَأخذه على غرّة أخذ عزيز مقتدر!

١١٤ - إن أصحاب الآمال والطموحات الدنيوية يعيشون الانتكاسات النفسية دائماً؛ لأن رغباتهم لا تنتهي، وموارد الدنيا محدودة بطبيعتها، فلا يمكن للإنسان تحقيق كل ما يريده، بالإضافة إلى أن الوصول إلى بعض اللذائذ والمتع مكلف مادياً وجسدياً، ودونه العشرات من العراقيل والموانع عرفاً وشرعاً.

١١٥ - إن المؤمن الذي يحصر همّه فيما يوجب رضا ربه، يعيش في أعلى درجات الراحة النفسية. فإذا أحسن وعمل الصالحات فإنه تغمره حالة من الفرح بذلك القرب من مولاه، وإن أساء وارتكب معصية يعود إلى ربه بوقفة في جوف الليل مستغفراً باكياً، وبذلك يعود إلى حالته السابقة من الراحة النفسية.

١١٦ - إن حالة القبض بعد البسط قد تكون نعمة للبعض، فإن الله تعالى - بمقتضى محبته لعبده - قد يبتليه بضيق شديد يكفّر عنه سيئاته، ويدفعه دفعاً ليناجي ربه، فتعود له حالة البسط التي فقدها، وحينئذ يزداد معرفة بقدرها.

١١٧ - إن الموت بالنسبة للمؤمن الذي أطاع ربه وعمّر آخرته بالسعي في الدنيا، ليس شيئاً مرعباً، ولا يوجب تذكره له حزناً واكتئاباً، وإنما هو عبارة عن لقاء الحبيب بحبيبه. فمثلُه كطالب مجدّ في درسه وقد اجتاز

١) سورة يونس، الآية: ٥٨.

الامتحان بنجاح، وكلّه شوق لرؤية ثمرة جهده من الجوائز القيمة!

١١٨ - إن الدعاء عبارة عن اتصال بمصدر اتخاذ القرارات، ألا وهو ربّ العالمين، وأثر هذا الدعاء هو تغيير المقدرات. ولكن ينبغي مراعاة ما له من ضوابط متمثلة بقواعد الدعاء المستجاب؛ لكي يتحقق هذا الاتصال، ومنها دفع صدقة قبل الدعاء، ولا شكّ أن من ينفق ويدعو حريص على عمل الصالحات، فيكون محبوباً من ربه، وهكذا فإنه بدعاء قصير من العبد، قد تتغير المقدرات التي كتبت في العرش.

١١٩ - لو وقع المؤمن في بلاء شديد لا مخرج منه بحسب القواعد البشرية، فلا ينبغي له أن ييأس، بل عليه أن يلتجئ إلى ربه ويكثر من الدعاء، فإن الذي وضع البلاء قادر على رفعه أيضاً.

١٢٠ - إن الذنوب من موانع التوفيق، ومن الحجب التي تحول بين العبد وربه. فكيف يرجو إنسان يبارز ربّه بالمعصية أن يستجيب له دعوته ويقضي حاجته؟ فلا بدّ من المصالحة أولاً مع من بيده الخير كله، بفعل الصالحات واجتناب المحرمات.

١٢١ - هناك رزق مقدّر في عالم المادة، كالعافية في البدن، أو الزوجة المطيعة، والذرية الصالحة. وهناك رزق مقدّر في عالم المعنى، كالتوفيق في العبادة، أو التسديد في الفكر. ولكن لله تعالى فضول - أي زيادة - ، وهذه الزيادة في المجالين لا تُعطى من غير سؤال، فاسألوا الله تعالى من فضله.

١٢٢ - لو أن المؤمن تضرع دائماً إلى ربه بالدعاء والإنابة، فإن بعض صور البلاء المقدر قد ترفع عنه ولا تحلّ به. ولهذا علينا أن نشكر ربنا ليس فقط على نعمه الكثيرة، بل على البلايا التي دفعت عنّا بهذا التضرع ونحن لا نعلم بها.

١٢٣ - إن العبد الذي يتضرع إلى ربّه في الخلوات، ويناجيه بفنون

الدعوات، يكون محبوباً عند ربه؛ فتتميز علاقته به. ولا يخفى أن ذلك هو سر عظمة الأولياء، وسر ما يحققونه من المقام المحمود.

١٢٤ - إن الله تعالى غني عن العالمين، ولكنه يحب من عباده أن يسألوه في قضاء حوائجهم - صغيرها وكبيرها - حتى يعتاد العبد ذكر ربه، ويكون هذا السؤال طريقاً لتقوية علاقة العبد بربّه.

١٢٥ - إن الله تعالى إذا أحب عبداً، فإنه يوفقه للدعاء ويسوقه إليه سوقاً. ومن سبل تعامله مع من يحب أنه يجعل رزقه من حيث لا يحتسب، فترى العبد يسعى في مجال يتوقع منه رزقاً فلا يوفق، ويسعى في مجال لا أمل له فيه فتنفتح له الأبواب. وذلك لأن العبد ما دام يعلم أن الله تعالى لا يُجري رزقه من حيث يتوقع - بل من حيث لا يتوقع أيضاً - فإنه يكون في حال دعاء دائم مع ربه طمعاً في نواله.

١٢٦ - ينبغي أن يبالغ المؤمن في الدعاء بإظهار حالة الاستجداء الباطنية، من خلال حركات الاستجداء الخارجية، فيرفع يديه كما يستطعم المسكين، ويلوذ بسبابته، ويقبض على لحيته، وهكذا ينبغي أن يدعو ربّه بقلبه وقالبه.

١٢٧ - إن العبد قد يلحّ في الدعاء طلباً لقضاء حاجته، ولكن الله تعالى لا يقضيها له؛ لعدم رجحان قضائها. وقد يلحّ في طلب قضاء حاجة راجحة فيقضي تعالى إجابتها مؤجلة؛ ليوفق للمزيد من الدعاء، حيث إنه تعالى يحب أن يسمع صوته، فلو قضيت حاجته لترك الدعاء من رأسه. بينما يعجّل الإجابة للمنافق، فيعطيه حاجته لأنه يكره سماع صوته!.

١٢٨ - ينبغي أن يُحسن الداعي الظن بربّه، ولا ييأس من قضاء حاجته، فإن الله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، كما يحسن به أن يتوقع وجود حاجته بالباب، وما عليه إلا أن يفتح الباب

بالدعاء ليأخذها، وعلامة الإقبال ما ذكر من رقة القلب وجريان الدمع.

١٢٩ - من الآداب التي ينبغي مراعاتها في الدعاء: الطهارة والنظافة. فلو أن إنساناً أراد أن يفد على ملك من ملوك الدنيا وقصده وهو في ثوب متسخ فلا يسمح له بلقائه - وإن كان جاهلاً بالأمر، أو عالماً ولكنه غير قاصد للوهن - فكيف لو أراد أن يقابل ملك الملوك وسلطان السلاطين؟!

١٣٠ - من آداب العبد في دعائه أن لا يحصر الدعاء بذكر الحاجة، بل يتخذ حاجته ذريعة لمناجاة ربه بفنون الأدعية المأثورة، وخاصة مع تحقق الإقبال عليه. فمن سوء الأدب أن يقتصر العبد على طلب الحاجة فقط، ثم يُعرض عن ذكر مولاه.

١٣١ - إذا أردت الدعاء فأشرك فيه جميع المؤمنين والمؤمنات، وليكن على رأس من تدعو لهم هم الآباء والأمهات وذوو الحقوق، والإخوان الذين أوصوك بالدعاء، والله تعالى أكرم الأكرمين لن ينقص من أجرك شيئاً، ثم عدّد حوائجك وسمّها، إظهاراً للتذلل والافتقار، فإنه من موجبات سرعة الاستجابة.

١٣٢ - من المناسب أن يستغفر المؤمن ربه بما يناسب الحاجة التي طلبها، فمثلا لو كان ممن يطلب الذرية فليستغفره من سوء تعامله مع والديه، ولو كان يشكو من مرض في عينه فليستغفره من النظر المحرم، وهكذا فإن الدعاء الممزوج بالاعتراف بتقصيره في حق المولى عزّوجلّ من موجبات الاستجابة.

١٣٣ - إن الإلحاح في طلب الحاجة من البشر من موجبات المقت، ولكن الله تعالى يحب الإلحاح من عبده المؤمن، وأن يكثر من سؤاله لقضاء حاجته، ومن هنا يُرجح الالتزام بالدعاء أربعين يوماً لحاجة بعينها، ليدخل في باب الإلحاح في الدعاء.

١٣٤ - إن من أدب الدعاء أن يثق المؤمن بربه وبكرمه، مهما عَظُمت

الحاجة. فلو قصد محتاج كريماً قادراً على قضاء حاجته فإنه لا يردّه خائباً، فكيف بأكرم الأكرمين، ومن بيده خزائن السموات والأرض؟ وكم من القبيح أن تقصد الكريم وأنت شاكّ في كرمه، مستعظماً حاجة هي عنده حقيرة!

١٣٥ - إن المؤمن يحب الخير لأخيه المؤمن ويستشعر همومه كإحساسه بهموم نفسه؛ فلهذا يحرص على الدعاء له في ظهر الغيب ويقدّمه على نفسه، وقد ورد أنه من أسرع الأدعية المستجابة. كما يناسب العكس وهو طلب الدعاء من الغير، وخاصة من المستضعفين من النساء والأطفال والمرضى، فإن الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم.

١٣٦ - إن من موجبات قضاء الحوائج: الدعاء في مجالس المؤمنين، ولكن الكثير يضيّع هذه الفرص بالغفلة واللهو، ولهذا فإن هذه المجالس ستكون حسرة ووبالاً عليهم يوم القيامة، حيث كان مثل هذا الاجتماع من مظان الرحمة الإلهية، ولكنه قد أضاع الفرصة فيه بتقصيره.

١٣٧ - إن البعض يُتعب نفسه بحثاً عن الاسم الأعظم الذي لا تردّ به حاجة، ولكن لو أن إنساناً تجلّت فيه صفة الرحمة، ثم سأل الله تعالى برحمته أن يرحمه لقضيت حاجته، فالراحمون يرحمهم الرحمن! وعليه فإن المسانخة مع أسماء الله الحسنى - بحسب معانيها - من موجبات إنعكاس أثر ذلك الإسم على ذات العبد وعلى الدعاء به.

١٣٨ - إن ربّ العالمين - إتماماً للحجة - يمنّ على المؤمن بحالة من البصيرة واليقظة بين الفينة والأخرى، فلا بدَّ من استثمار هذه الحالة؛ ليتحول من حالة الميت إلى النائم، ثم يترقى من حالة النائم إلى المشلول، ثم يتخلص من الشلل العائق؛ ليمشي أخيراً على قدميه بملء اختياره.

١٣٩ - إن من عوامل الإنابة والعودة إلى الله تعالى، هو: الوقوع في البلاء والمحن. لهذا فإن المؤمن أقرب إلى البلاء من غيره، ولو أنه استثمر

فرصة الابتلاء بالانقطاع إلى الله تعالى؛ فإنه لا يخرج من ذلك البلاء إلا بنقلة نوعية في القلب والقالب.

١٤٠ - إن الله تعالى قد يمهل العبد العاصي، فلا يُنزل عليه العذاب لبعض الموانع، وكأنّ هذا العذاب معلّق بين السماء والأرض. ولكن إذا تراكمت المعاصي فإن الله تعالى يُحلل نقمته عليه، وينزل عليه ذلك العذاب المجتمع دفعة واحدة، وهذا معنى من معاني الاستجارة بالله تعالى من حلول سخطه!.

١٤١ - ينبغي أن يكثر المؤمن من الدعاء، بأن يهبه الله تعالى حالة اليقين برقابة العين الإلهية له، وأنه مطّلع عليه في كل الأحوال، فإنه لو امتلك هذه الحالة فسوف يتخلص من هذا التذبذب في الإيمان، ويكون متعبداً لله تعالى على الدوام.

١٤٢ - إن بناء ربّ العالمين في تربية أوليائه: أن يضفي عليهم شيئاً من الكرامة في عالم التكوين، فلما خلق آدم - وهو بين الماء والطين - أكرمه الله تعالى بسجود الملائكة له، وكذلك عيسى عليه السلام كان يكلّم الناس في المهد وكهلاً، وذلك إثباتاً لاتصالهم جميعاً بمبدأ الغيب.

١٤٣ - عندما لا تقضى حاجة الإنسان تتوارد عليه الهموم والغموم ولكن دفعاً لذلك، عليه أن يعلم بأن الله تعالى هو المدبر لشؤون عباده، والأعلم بما يصلحهم من أمور الدنيا والآخرة، فيعطي حتى من لا يسأله، تحنناً منه ورحمة، فكيف بمن سأله وقد أمرنا تعالى بدعائه؟! ولكن من دون أن نملي على الله تعالى ونعلمه كيف يقضي حاجتنا! ولنا في إبراهيم عليه السلام خير أسوة، فعندما رموه بالمنجنيق في النار الكبرى، سلّم أمره إلى الله تعالى وحده، ورفض طلب الملك بإعانته فجاءه الفرج الإلهي من دون حساب: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[1] وقد

---

١) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.

روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «**لَمَّا أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ ع فِي النَّارِ، تَلَقَّاهُ جَبْرَئِيلُ عليه السلام فِي الْهَوَاءِ وَ هُوَ يَهْوِي، فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَ لَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلا**»[1].

١٤٤ - إن المؤمن الذي ينظر إلى ملكوت الطاعات على أنها نفحات من الجنة، وأن كل عمل يعمله يتحول إلى لبنة في قصوره في الجنة، فإنه عندها يتحول إلى إنسان حريص على الطاعة، كما لو أن إنساناً كان مقبلاً على الزواج ويحتاج إلى سكن، وهذا السكن يحتاج إلى مقدمات ومنها أن يشتري له بعض مواد البناء، ألا تراه يبذل أقصى جهده ليبحث عن مقدماته، لما يتصوره من السعادة عندما يتحول إلى هذا البيت الجديد؟!

١٤٥ - إن الله تعالى يتجلى لبعض عباده أثناء تلاوة كتابه؛ فيستشعر العبد لذة الخطاب الإلهي، وكأنه المعنيّ به، ويفرح بحديث الرب معه! ولهذا كلما مر بآية فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال: لبيك اللهم! فتنتابه حالة من السعادة؛ لأن الرب جعله أهلاً للخطاب، حيث البون الذي لا يقدر بين رب الأرباب، وهذا التراب! و ليعلم أن القرآن الكريم يعرفه من خوطب به، والمخاطب الأول هو النبي صلى الله عليه وآله وذريته الطيبون عليهم السلام، والمخاطب الثاني تبعاً لهم من استن بسنتهم ومشى على هديهم.

١٤٦ - كلما أراد المبتلَى بالبعد عن ربه، أن يتقرب اليه بعبادته فإنه لا يجد إلا سلباً للتركيز، وقسوة في القلب، أو مانعاً يشعره بعدم تمام حسن العمل، ولذا عليه أن يفزع إلى ربه فزع المضطرين، إذ لعل الله تعالى يكره تقربه، فطرده عن بابه لسوء فعله وجريرته، وليس المبتلى ببدنه أو ماله بأشد اضطراراً منه!.

فلو عاش الإنسان حقيقة الاضطرار من حرمانه من بركات عالم

١) علل الشرائع، ج١، ص٣٦.

الغيب، لتعامل الله تعالى معه معاملة المضطرين، ومن الممكن بهذا الاحساس أن يتحول إلى ولي من الأولياء! وختاماً نقول: لماذا نرى المحبوس في السجن يدعو باضطرار، ولكن المحبوس في سجن الشهوات لا يرى نفسه مضطراً بالنظر لما هو فيه؟!

١٤٧ - ينبغي للمؤمن أن يُكثر من الدعاء والتوسل في أن يصلح الله تعالى أمره، ظاهراً وباطناً، لتكون له جوارح طاهرة من المعاصي، وقلباً سليماً من الملكات الخبيثة. وبذلك يكون العبد مستقيماً على الطاعة فيدخل في زمرة المتقين متقياً؛ فإن التقوى محلها القلب، والجوارح تابعة له، فإذا كان القلب طاهراً طهرت الجوارح والعكس أيضاً واقع.

١٤٨ - إن الذي يتوقع نفعاً من أحدهم ويخاف العقوبة والحرمان من طرفه، فإنك تراه يحرص كل الحرص على أن يكون بالمستوى الذي يرضي به ممن يتوقع منه نفعاً، وعلامة ذلك أنه كلما التقى به سأله: هل أنت راض عني؟ مع أنه قد يكون غير مقصر في خدمته إلا أنه يحب أن يسمع منه هذا التأكيد على رضاه عنه! ومن هنا فإن المؤمن الذي يعيش هذا الإحساس، يكون في حالة خوف وقلق دائم من أنه ارتكب ما يوجب غضب مولاه، وبالتالي يخشى من عقوبة مُنتظرة، ومن المعلوم أن هذه الخشية من موجبات الالتجاء الدائم الى الله تعالى!

١٤٩ - إن الذي يرتكب المعاصي ليس مخالفا لأوامر الله تعالى فحسب، بل إنه يؤذي ربه بذلك، وقد ورد مثل هذا التعبير في كتابه الكريم، ولك أن تتصور حال إنسان يعيش على أرض الله تعالى، وينعم في مملكته، وهو ساخط عليه! إن الذي يؤذي الله تعالى بأفعاله، لهو إنسان غاصب، وغير مأذون له بالتصرف والعيش في ملكه تعالى. ولهذا قيل في تصوير هذه الحالة: «وجودك ذنب لا يقاس به ذنب»، وهذا المعنى أمر دقيق لو وصل إليه العبد، حيث يستشعر الاضطراب الدائم، وحالة من الخجل والوجل بين يدي الله تعالى.

١٥٠ - إن المؤمن عندما يقف بين يدي الله تعالى، ويستحضر المقام الإلهي، فإنه يعيش حالة الارتباك والاضطراب؛ لوقوفه بين يدي سلطان السلاطين وملك الملوك. فلو أن إنساناً التقى بسلطان من سلاطين الدنيا، لرأيته يعيش حالة الارتباك فتراه مرتجفاً متلعثماً متصبباً عرقاً، والحال أنه هو غير مقصر في حقه، لكن أخذته هيبة الملك والسلطان! وهذا شأن الأولياء في توقير الله تعالى. ويروى أن إبراهيم الخليل عليه السلام عندما كان يدعو في صلاته كان له أزيز كأزيز المرجل[1]، وكذلك كان يُسمع من صدر رسول صلى الله عليه وآله مثل ذلك، وكانت فاطمة عليها السلام تنهج في الصلاة من خيفة الله تعالى[2]، أي: تتابعت أنفاسها كاللهثان من خوف الله عزّوجلّ.

١٥١ - إن الحب لا يكون بالتلقين، وإنما هو مبني على أساس السنخية والتشابه في الأخلاق والطبائع بين المحب والمحبوب. وكما يقال: شبيه الشيء منجذب إليه! وكلما زاد التشابه اشتد الحب، ولهذا فإن المتخلقين بأخلاق الله تعالى، هم أشد الناس حباً لله تعالى ولأوليائه، وينفرون أشد النفور من أعداء الله تعالى. فإن من يحب الحق ومن يمثله، يضيق ويتبرم من الباطل، ومن كل من يمثله، وكما قال أبوعبد الله الحسين عليه السلام: «**مِثْلِي لَا يُبَايِعُ لِمِثْلِه**»[3]!

١٥٢ - إن الخالق المتعال الذي بيده كل شيء، هو الذي عصم قلوب النبيين، وعليه فإن هذا الإنسان الفقير لو ترك على حاله، وأوكله الله تعالى إلى نفسه، فإنه لا يرجى منه أي خير، فهذه النفس - كما نقرأ في مناجاة الشاكين للإمام السجاد عليه السلام: «**مَيَّالَةً إِلَى اللَّعِبِ وَ اللهْوِ، مَمْلُوَّةً بِالْغَفْلَةِ وَ السَّهْو**»[4]، و عليه لا بدّ للمؤمن أن يستغيث بربه في قنوته

---

١) بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٥٨.
٢) المصدر السابق.
٣) مثير الأحزان، ص٢٤.
٤) بحار الأنوار، ص٩١، ص١٤٣.

وسجوده، قائلاً: يا عاصم قلوب النبيين! امسك قلبي من السقوط في مهاوي الرذيلة، وثبتني على الهدى والتقوى!

١٥٣ - إن الله تعالى شكور، يشكر سعي عبده، ولكن بعض صور الشكر الإلهي تكون له مزية الأبدية. كالشكر الإلهي الذي توجه الى إبراهيمعليه السلام وابنه إسماعيلعليه السلام لبنائهما بيته العتيق، إذ لم ينحصر أثر ذلك العمل في أمة إبراهيمعليه السلام بل تعدى إلى كل الأمم إلى قيام الساعة، ومن هنا يُعطي آل ابراهيمعليه السلام من الدرجات اللامتناهية في الجنة بما لا يعلمه إلا الله تعالى.

١٥٤ - إن من أهم صفات المؤمن هو الصبر على البلاء المقدّر، ولكنه يسأل الله تعالى الإعفاء من بلاء يضر بدينه. فلا شك بأن بعض صور البلاء يعد من المعوقات في طريق القرب الربوبي، ولهذا فإن المؤمن يعوذ بالله تعالى من كل أمر يشغله عن طريقه، ويصر على هذا الدعاء: «اللهم، اقطع عني كل شيء يقطعني عنك»!

١٥٥ - إن المؤمن قد يكون له أعذاره في تخلفه عن ركب الصالحين، ولكنه في بعض الحالات لا يمتلك عذراً في ذلك فينتابه الخجل والوجل، ويدعو الله تعالى أن يقبل ما يختلقه من عذر وأن يلقّنه حجته يوم يلقاه. والله تعالى في يوم القيامة - كما ورد في الروايات - قد يخص البعض برحمته، فيُلقي في روعه أن يتكلم بما يوجب إنقاذه من نار جهنم.

فقد روي عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: «**إِنَّ آخِرَ عَبْدٍ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ، فَيَلْتَفِتُ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ: أَعْجِلُوهُ! فَإِذَا أُتِيَ بِهِ، قَالَ لَهُ: عَبْدِي لِمَ الْتَفَتَّ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا كَانَ ظَنِّي بِكَ هَذَا، فَيَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: عَبْدِي وَ مَا كَانَ ظَنُّكَ بِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! كَانَ ظَنِّي بِكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي وَ تُدْخِلَنِي جَنَّتَكَ، فَيَقُولُ اللهُ: مَلَائِكَتِي وَ عِزَّتِي وَ جَلَالِي وَ بَلَائِي وَ ارْتِفَاعِ مَكَانِي مَا ظَنَّ بِي هَذَا سَاعَةً مِنْ حَيَاتِهِ خَيْراً قَطُّ وَ لَوْ ظَنَّ بِي سَاعَةً مِنْ حَيَاتِهِ خَيْراً مَا رَوَّعْتُهُ**

بِالنَّارِ، أَجِيزُوا لَهُ كَذِبَهُ وَ أَدْخِلُوهُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ ع مَا ظَنَّ عَبْدٌ بِاللهِ خَيْراً إِلَّا كَانَ عِنْدَ ظَنِّهِ بِهِ، وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَل: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾»[1]!.

١٥٦ - إن المؤمن يحب أن يتقرب إلى الله تعالى بإتيان الفرائض ولكن هناك مقام لا يناله العبد إلا بالالتزام بالنوافل، فإنها تتميز على الفريضة بزيادة الإخلاص فيها؛ فأداء الفريضة قد يكون بداعي الطمع في الثواب، والخوف من العقاب. ولكن النافلة - وإن كان فيها طمع في الثواب - ليس فيها خوف من العقاب، وعليه، يكون الإتيان بها أقرب إلى عبادة الأحرار التي ليس فيها طمع ولا خوف. ومن هنا فإن الله تعالى يباهي الملائكة بعبد يقوم الليل متثاقلاً[2]؛ ليصلي صلاة لم يفترضها عليه.

١٥٧ - إن الله سبحانه وتعالى الغني عن عباده لا تنفعه طاعتهم، ولا تضره معصيتهم، ولولا هذه الرحمة الإلهية الغامرة، لكان سلوك الإنسان في نشاطه اليومي مؤدياً به إلى الهاوية! حيث إن الغالب على لحظات العمر إما الانشغال بالشهوة، أو بالغفلة عن الله تعالى، بينما ساعات الالتفات إلى الحق المتعال ليست لها كثير مساحة في حياته، ولهذا فإن الإنسان يوم القيامة يعاتَب على هذا التفريط، فهو يحتاج إلى رحمة تدركه ليتخلص من بعض تبعات المعاتبة يوم القيامة.

١٥٨ - إن المؤمن يستغل لحظات الفراغ في التفكّر والتأمل، واستشعار المعية الإلهية، فإن أنسه ومتعته بذلك لا يقاس بأنس أهل الدنيا بمتاعهم الزائل المحدود؛ ولهذا فإنه يحمل هم تربية نفسه: فكراً وعاطفة وسلوكاً؛ كما يحرص على استغلال كل لحظة من عمره في سبيل تحقيق هدفه.

---

١) ثواب الأعمال و عقاب الأعمال، ص١٧٣.
٢) انظر: بحار الأنوار، ج٨٣، ص٧٤.

١٥٩ - إن العزلة النافعة المطلوبة للمؤمن والمعينة له على التكامل، ليست العزلة البدنية ومجانبة مسلمات الشريعة من الزواج، والأمر بالمعروف، والسعي في خدمة العباد، وإنما هي العزلة الروحية، باعتزال الأباطيل، ومن مواردها في جوف الليل.

١٦٠ - يجب على المؤمن أن يعزم على الاستمرارية في المجاهدة المتصلة إلى أن يلقى ربه، والله تعالى إذا علم صدق عبده في رغبته في الوصول اليه، فإنه سيسوق له - في الوقت المناسب - الدليل الذي يعينه في حركته إلى الله تعالى سواء تمثل في شخص في الخارج أو إلهام في الباطن.

١٦١ - من المؤسف أن البعض في شبابه كان يعيش حالة من الإنابة إلى الله تعالى، والمجاهدة وتحمل الأذى في سبيله، ولكنه في أُخريات حياته يفرّط بهذه المكاسب ويبيعها بثمن بخس، فيلقى ربه وهو ساخط عليه!

١٦٢ - إن البعض يعوّل على تدبيره فحسب، ويرى أن بإمكانه أن يحقق ما يريده، والحال أنه محكوم بسلسلة من القوانين، وأن عليه أن يسعى بسعيه، ويستمد المباركة الإلهية حيث إنه لا يستغني في كل مراحل حركته التكاملية عن الألطاف الغيبية، ولكنها لا تأتي جزافاً، بل إن لها ضوابطها، ولهذا فإن الله تعالى أنزل ملائكة النصر في بدر، ولم ينزلها في أحد!

١٦٣ - إن المؤمن كلما اقترب من هدف الخلقة، زاد رقة وشفافية، وإحساساً بالطمأنينة، واستذواقاً لحلاوة الحديث مع رب العالمين؛ الأمر الذي قد يُنبت في نفسه بذور العُجب والارتياح للذات، وهذا الاحساس يوجب توقف حركته التكاملية، أضف إلى أنه من موجبات حبط العمل والمقت الإلهي، بخلاف المذنب الذي يعيش ألم الندامة الباطنية، فتكون دافعة له للإسراع وقطع المسافات.

١٦٤ - إن مما يثير العَجب والأسف أن يكون الإنسان متخصصاً في

بعض علوم الدنيا وغافلاً عما يضمن له سعادته في الآخرة! ولا ينبغي التذرع بعدم القدرة على الاستيعاب لما يتعلق بأمور الدين، إذ كيف يمكنه فهم المعادلات المعقدة في عالم الرياضيات والفيزياء مثلاً؟!

١٦٥ - إن العبد الذي يهمه رضا مولاه لا يقدم على عمل وفق مزاجه ولو كان عملاً صالحاً؛ فشعاره ما ورد في الكتاب الكريم: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾[1]، ولهذا فهو في مواطن التحيير يطلب من ربه أن يلهمه ما يرضاه ويسدده فيه ولو كان الأمر شاقاً عليه.

١٦٦ - إن ترك الحرام لا يكون إلا بالمراقبة المتصلة، فالذي لا مراقبة له لا يؤمن منه أن يقع في فخ الشيطان المنصوب له في لحظة غفلة؛ فالشيطان المتربص لبني آدم لا يهمه أن يكثر المؤمن من الأعمال الصالحة، بل يكفيه أن يراه غافلاً ولو لحظة، ليوقعه في مصيدته القاتلة!

١٦٧ - إن من يريد التكامل عليه أن يوطّن نفسه على الصبر وتحمل أنواع البلاء، بل على الرضا والتسليم بمكروه القضاء. ولكن ليطلب من الله تعالى أن لا يجعل مصيبته في دينه، فإن المصيبة الكبرى أن يعيش الإنسان قساوة القلب، فلا يقبل على معروف، ولا ينزجر عن منكر!

١٦٨ - إن من بواعث الجدية والنشاط في عملية القرب الربوبي تذكير النفس بأنه كان عدماً وصائر إلى عدم، فيجب عليه اغتنام هذه الفرصة في دار الدنيا، وذلك بالمسارعة إلى الخيرات. فإذا كان لا بدّ من اللقاء بالسلطان، فينبغي مصادقته وتجنب ما يوجب مؤاخذته وعقابه، حتى يستقبله استقبال المحبين لا المنتقمين.

١٦٩ - إن الذي تلمّس شيئاً من جمال ذلك الوجه الربوبي، وانقدح الحب الإلهي في قلبه، فهل يرى سواه لكي يلحظ وجوده فيما لو فعل

١) سورة النمل، الآية: ١٩.

خيراً أو لكي يطمع في الجزاء والثناء منه؟!

١٧٠ - إن الله تعالى وعد عباده بألوان من النعيم المادي في الجنة، ولكن هناك ما هو أكبر، ألا وهو الشراب الطهور: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[١]. والمؤمن قد يسقيه ربه قطرة من هذا الشراب وهو في الدنيا، وذلك خلال صلاة خاشعة، أو بمناجاة في جوف الليل!

١٧١ - إن البعض يلهث وراء متع البدن وملذاته بحثاً عن السرور الباطني، والحال أن هذا السرور موهوم أولا، ومؤقت ثانياً، ومكلِف ثالثاً. وأما المؤمن فهو يعيش سروراً دائماً في قلبه، وإن كان في أحلك الظروف، ومن هنا لا يمكن أن يصاب بحالة الاكتئاب والانهيار العصبي، مهما عظم بلاؤه، بل هو في حالة من الاطمئنان وسكون الباطن دائماً، ويعظم هذا السرور في يوم اللقاء بالمحبوب، والفوز بالرضوان الأكبر.

١٧٢ - إن الإنسان عنصر من عناصر هذا الوجود الذي يسبّح في كل آن ويحمد الله تعالى حمداً تكوينياً: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾[٢]، وعليه فالإنسان هو مع الله تعالى بمقتضى هذه المعية التكوينية: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[٣]، ولكنه لا يؤجر على هذه المعية القهرية؛ فالكمال أن يرتقي بروحه إلى أن يصل إلى درجة المعية الاختيارية.

١٧٣ - إن أحباب الله تعالى ليسوا من المشتاقين أو المحبين أو الذاكرين فحسب، بل هم الصادقون، فمن يريد أن يكون داخلاً في هذه الزمرة، ينبغي أن يثبت صدق رغبته في التقرب. ولهذا نناديه في دعاء كميل: **«يَا حَبِيبَ قُلُوبِ الصَّادِقِينَ»** [٤].

---

١) سورة الإنسان، الآية: ٢١.
٢) سورة النور، الآية: ٤١.
٣) سورة الحديد، الآية: ٤.
٤) مفاتيح الجنان.

١٧٤ - إن الناس في تعاملهم مع رب العاملين أربع درجات: الجاحد وعكسه المؤمن، والناسي وعكسه الذاكر، والغافل وعكسه المتيقظ، والساهي وعكسه المستحضر. ونحن قد تجاوزنا مرحلة الجحود، ولكن كيف ننتقل من مرحلة النسيان، والغفلة، والسهو، لنكون من العباد الذاكرين ؟!

١٧٥ - إن المؤمن يخلل ساعات غفلته بوقفات قصيرة، فإذا اشتاق للحديث مع ربه صلّى، وإذا اشتاق لحديث ربه قرأ القرآن الكريم في أي مكان، وعلى أي حال. فإن حياتنا ليست إلا صحراء قاحلة لا قيمة لها، لولا ما يتخللها من بعض الواحات، والتي تمثل بدورها ساعات الإقبال على الله تعالى.

١٧٦ - ليس الفخر أن يسخّر الإنسان الطبيعة لصالحه، ويفهم النظريات المتعلقة بعالم المادة وهو غافل عن الآخرة. فلا تراه يربط بين الظاهر والباطن، ولا ينتقل من المعلول إلى العلة، أي: الموجِد لهذا العالم، ويعرف ما يريده منه! فهؤلاء هم وما يستخدمونه من الآلات الصمّاء سواء، بصر بلا عقل ولا بصيرة!

١٧٧ - إن الغفلة كالشراب المسكر، حيث لا يستفيق صاحبه على واقعه إلا و قد قام بما لا يليق به أبداً! فالغافل عن ذكر الله تعالى المشغول بالدنيا، غير ملتفت لسلوكه. فكل ما يُذهب العقل، فهو في حكم المسكر! ولهذا تعددت أنواع السكر: فهناك سكر الغضب، وسكر المال، وسكر الشباب، ومهما تعددت الأنواع فالسكر واحد!

١٧٨ - إن الغافل الذي يُعرِض عن ذكر ربه ليس له في الدنيا إلا معيشة الضيق والكآبة، وإن توفرت له أسباب السعادة بأحسن ما يكون!. وأما في الآخرة فيحشر أعمى لا يبصر طريقه، ومنسي لا ذاكر له ولا معين! وهذا بخلاف الذاكرين لله تعالى كثيراً، فإنهم في الدنيا يعيشون

اطمئنان القلب ولو في أحلك الأحوال، وأما في الآخرة فلا يعطون بصراً ظاهرياً فحسب، بل إن نورهم يسعى بين أيديهم وأرجلهم فيدلون غيرهم على طريق النجاة.

١٧٩ - نحن لا نتوقع في أول الطريق أن نصل إلى درجة الذاكرين والمستغرقين في جلال الله تعالى وجماله، وممن: «**نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَ كَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِم**» [١]، ولكن ينبغي على المؤمن أن يحاول تقليل فترات الغفلة بقدر ما يمكنه، إلى أن يصل إلى درجة الذكر الدائم، فهذه هبة من الله تعالى، لها أسبابها وموجباتها من جانب العبد.

١٨٠ - إن من موجبات رفع الغفلة الالتزام بالتسمية عند كل عمل، بحسب النشاط اليومي، فتعدد أوجه النشاط يوجب الإكثار من البسملة وهو بدوره يجعل لسان العبد رطباً بذكر الله تعالى، فتحل البركة في عمله، ومن الممكن أن يهبه تعالى بذلك حالة الذكر الدائم.

١٨١ - نلاحظ أن القرآن الكريم أسند التيسير تارة إلى الفعل، كما ذكر في دعاء موسى عليه السلام لنفسه: ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾[٢]، وتارة أسنده إلى الذات، كما قال الله تعالى عن نبيه: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾[٣]، وكم من الجميل أن تكون ذات المؤمن - لا فعله فقط - ميسرة للخيرات والبركات!

١٨٢ - من الدلائل الكاشفة عن سلامة القلب، أن يكثر العبد من ذكر ثلاثة أمور: ذكر الله تعالى، وذكر الآخرة وأهوال القيامة، وذكر الإمام الذي سنحشر تحت لوائه يوم القيامة. فهذه من الأمور التي يهبها الله تعالى خالصة لمن يريد من عباده المؤمنين.

١٨٣ - إن البعض يُعطى من الآيات الأنفسية والكرامات الباطنية التي تنوّر له طريق معرفة الله تعالى، ويمكنه أن يرتفع بها إلى ملكوت

---

١) بحار الأنوار، ج٦٦، ص٣٢٥.
٢) سورة طه، الآية: ٢٦.
٣) سورة الأعلى، الآية: ٨.

السماوات، ولكن لا بدّ من تقدير هذه النعم العظيمة، وإعطاؤها حقها، وإلا فالحجة عليه أبلغ، والعقاب إليه أسرع!

١٨٤ - لو أن الله تعالى جعل علامات بدنية لسيئات الإنسان الظاهرية والباطنية، فمن أذنب مثلاً اسوّد وجهه، لما بقي أحد إلا وقد كُشف غطاؤه وعُرفت جريمته! ولكن ربّ العزة والجلال ستّار على عباده! فلا يكشف الستر عنهم إلا في دار الجزاء.

١٨٥ - النفحات الإلهية هي نسمات و هبات من عالم الغيب، تعرض على قلب المؤمن، بشكل فجائي، فيعيش حالة مميزة من الإقبال على الله تعالى. فعلى المؤمن أن يتعرف على هذه الساعات ويتعرض لها فلكل مؤمن نفحته الخاصة به.

١٨٦ - إن من موجبات النفحات الإلهية، هي المجاهدة العظيمة بين يدي الله تعالى، ولكن المؤمن قد لا يوفق لذلك، ولكن المراقبة المستمرة لنفسه تعوض ذلك؛ فإنه سيمنح بها نفحة بين فترة وأخرى. وليعلم أن المجاهدة العظيمة توجب الذكر الجميل، والخلود العظيم، كما كان ليوسف عليه السلام، وسحرة فرعون، وحنظلة غسيل الملائكة! فلو وقعتَ في مواقف صعبة، جاهد نفسك لحظات، لتكسب سعادة الأبد!

١٨٧ - إن النفحات الإلهية هي منح وجوائز إلهية، توجب الشوق والحنين الدائم لمن منح تلك النفحة، فلو تجلى رب العالمين لمؤمن في ليلة، فانه يتحول إلى عاشق متيّم؛ فيداوم على قيام الليل، لعله يجد ذلك التجلي الذي وقع له في تلك الليلة.

١٨٨ - إن من تجلى له الرب بجماله وجلاله، فإنه ينضبط من تلقاء نفسه، ولا يحتاج إلى ردع كثير، أو حث وتحفيز بذكر نعيم الآخرة؛ لأنه - وهو في الدنيا - يتنعم بما هو أكبر منه وهو الرضوان الإلهي، ومن هنا ينبغي للمؤمن أن يحوّل ما يعيشه من النفحات إلى حالة من التقوى

والورع، لا أن يتحول إلى عاشق في الليل، وغافل في النهار!

١٨٩ - إن الذي لا يقدّر ما يمنحه تعالى من النفحات الإلهية بارتكاب الحرام، فإنه يُبتلى بقسوة شديدة، لا ترتفع عنه إلا بالتضرع الشديد والإنابة الصادقة إلى الله تعالى، ومع عدم الاستغفار، فإنه يبقى فيما هو عليه من الإدبار، إلى ما شاء الله تعالى.

١٩٠ - إن شكر نعمة الإقبال، يكون بالتزام أوامر الله تعالى ونواهيه. ولو أنّ المؤمن كلما مُنح نفحة شكر ربه بترك الحرام مثلاً؛ فليعلم أنه بذلك سوف تتوالى عليه النفحات؛ لأن هذا مقتضى قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[١]، ومن المعلوم أن النفحة من مصاديق التجلي وقد قيل في محله أنه لا تكرار في التجلي.

١٩١ - لا بدّ من تحويل النفحة إلى عمل، وإلا فإنها قد توجب لصاحبها الغرور، والتضخم الكاذب، فيرى أنه على خير، والحال أنه قد يكون مقصراً حتى في أوليات الشريعة.

١٩٢ - لا تكون حالة الإقبال إلا إذا كان هنالك دعوة من الرب لعبده، فمن سوء الأدب قطعها بالانشغال بأمر آخر! بل ينبغي أن يبقى العبد على وضعه في مكانه وحالته، إلى أن تزول لوحدها.

١٩٣ - إن المؤمن عندما يعيش حالة الإدبار وقسوة القلب، يشتد فزعه وشكواه إلى ربه؛ لأن الإعراض الإلهي من أسوأ صور العقوبة، ويستدعي منه أن يجأر إلى الله تعالى لما يتهم به نفسه، إذ لعله ارتكب ما أوجب سلب حالة التوجه بين يدي ربه.

١٩٤ - إن العبد إذا أصبحت له صلة وثيقة بالله تعالى، فإن بإمكانه أخذ أعظم الحوائج بدعوة صغيرة؛ لأن هنالك حباً متبادلاً، والمحب يستجيب لحبيبه بإشارة.

---

١) سورة إبراهيم، الآية:٧.

١٩٥ - إن المؤمن يعتقد أن بيده سلاحاً من أقوى الأسلحة، ألا وهو الدعاء، فيعيش حالة الاطمئنان؛ لأنه يعلم أن الخزائن كلها بيد ربه المتعال والذي يمكن أن يأخذ منه ما يريده، بتذلل وتضرع في جوف الليل.

١٩٦ - إن البعض كان يتمنى أن يكون عالماً ربانياً، ولكن الظروف حالت دون ذلك، فلماذا لا يطلب من الله تعالى أن يعوض ذلك في ذريته، ويهيئ من عقبه من يكون عَلَما من أعلام الدين؟

١٩٧ - إننا نقول للذي يعاني من مشاكل مع الخلق - قريباً كان أو بعيداً - أو الذي يريد حنان الخلق ومودتهم: لمَ لا توجّه قلبك إلى الرب الحنّان، واهب الحنان، جاعل الود في القلوب؟!

١٩٨ - إن الإنسان يحتاج إلى اللطف الإلهي منذ بدء نشأته، حتى يخرج إلى الدنيا سليماً معافى روحاً وجسداً، ويحتاج إلى هذه الرعاية عندما يموت وينتقل إلى عالم البرزخ، وما أجمل هذا الحنان عندما يتجلى في ساعة اللقاء الإلهي، يوم يبعث حياً، ويخرج من القبر عرياناً ذليلاً.

١٩٩ - إذا كنت تعلم أن علاقتك بالمال في الدنيا علاقة محدودة، وقد تفقده في الدنيا قبل الآخرة، فلماذا لا تستثمره في سبيل الله تعالى؟ فإنه لا يفنى ما ارتبط بالله تعالى.

٢٠٠ - إن كل ما يملكه الإنسان في هذه الدنيا مآله إلى الفناء، إلا ما كان لوجه الله تعالى، فكما أن وجه الله تعالى باقٍ، فإن المرتبط به باقٍ أيضاً.

٢٠١ - إن المؤمن له وجاهته عند الله تعالى، ولهذا فمن الأفضل - قدر الإمكان - أن يستغني عن منّة الخلق، ولا يريق ماء وجهه لمن لا يستحق،

وفي الحديث أنه من موارد الذل: «السُؤالُ وَلَو مِن أَينَ الطَرِيق»[1].

٢٠١ - إن البعض لا يفزع إلى الله تعالى إلا في المصائب والنكبات؛ فيعيش حالة القرب من الله تعالى لاعتقاده بأنه المنجي، ولا يتعامل مع الله تعالى على أنه إله يعبد وله حق الطاعة على عبده في كل الأحوال.

٢٠٢ - إن الذي تتنزل عليه المائدة الإلهية، ثم يكفر بها بارتكاب المعاصي؛ فليتوقع العذاب الأليم! فكم من مؤمن كانت له حالات روحية متميزة، وإذا به ينتكس انتكاسة قاتلة، فيصبح لا يعرف الحلال من الحرام!

٢٠٣ - إن البعض لا يُقبِل في العبادة إلا إذا كان مع الغير كما لو كان في إحياء جماعي من العبادة، وفي جو إثارة من خارجه! والحال أنه لو كان ممن يأنس بذكر الله تعالى، فما الفرق في تأثره بتلك العوالم سواء في الجلوة أو الخلوة؟! نعم هناك بعض المزايا في الأماكن المقدسة كرامة لمن ثوى فيها، فمن الطبيعي ان يختلف الحال فيها.

٢٠٤ - إن الله تعالى خلق بدن الإنسان من نطفة من ماء مهين، وجعله مخلوقاً متكاملاً، ولكنه جعل أمر الروح إليه، وأراد منه أن يحسّن باطنه باختياره من خلال الكدح والمجاهدة، وإلا فإذا كان الله تعالى هو الذي يحسّن الروح كما حسّن البدن، لانتفى الأجر والثواب.

٢٠٥ - إن القرآن الكريم حديث رب العالمين مع العبد، والصلاة حديث العبد مع رب العالمين، فكم من الجميل أن يشعر المؤمن كلما قرأ القرآن الكريم وكأنه المخاطَب، ويفهم كل معانيه، ويأخذ بكل ما فيه من الخزائن!

٢٠٦ - إن الله تعالى تجلى لنا في خلقه لهذا الكون، ولهذا فإن الإنسان كلما ازداد توغلاً في علوم الطبيعة، ازداد قرباً إلى الله تعالى، ولكن بشرط

---

١) انظر: الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ص٨٥٩.

أن يكون له لبّ مدرِك، وإلا فلا فائدة في علمه مهما بلغ من كشف مجاهيل الطبيعة.

٢٠٧ - إن من فضل الله تعالى علينا هو توجيه الخطاب لنا في كتابه الكريم، وإلا فكان من الممكن أن يخاطب البشرية من خلال الوحي النبوي فقط، ولهذا فإن من أعظم صور التعذيب يوم القيامة، حرمان البعض من هذا التشريف، كما يقول تعالى: ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1].

٢٠٨ - من اللازم أن نتعلم القرآن الكريم، قراءة ظاهرية، ومعرفة لمعانيه الباطنية، فإن مما يثير الأسف أن ترى إنساناً عربي اللسان، ولكنك عندما تستمع إلى تلاوته ترى فيها خللاً، فضلاً عن التدبّر في فهم ألفاظ القرآن الكريم.

٢٠٩ - إن طبيعة القلب أنه يحتاج إلى متعلق ومحبوب، والبعض يعيش حالة التشتت القلبي بحسب هذا المتعلق الذي يتغير في كل فترة، كمن دخل عالم النساء فيستبدل الواحدة بالأخرى، متنقلاً من متعلق للقلب الى آخر، والحال أن المؤمن لا يُشغل قلبه إلا بالله تعالى وبما يحبه ويرضاه!

٢١٠ - إن هذه الدنيا - لهوانها عند الله تعالى - مبذولة لكل برّ وفاجر، ولكن بلوغ المقامات الروحية العليا فيها يحتاج إلى مدد من ربّ العالمين، ومن دون هذه العناية فإنه لا يمكن أن نحقق قرباً أو سعادة أبداً.

٢١١ - إن الله تعالى بناؤه مع عباده المؤمنين أن يقلّبهم بين اليسر والعسر، فلا ينبغي للمؤمن أن يتوقع من ربّ العالمين ما هو خلاف سنّته مع أنبيائه وأوليائه، فليصبر على بعض الضيق، حتى تفتح له - ولو بعد حين - أبواب الفرج كما فُتح لهم.

١) سورة آل عمران، الآية:٧٧.

٢١٢ - إن القلب لا بدّ أن يتعلق بشيء، فعندما يخلو من الحق يكون مستعداً للتعلق بأي باطل، ولهذا نلاحظ أن الذي لم يهتد إلى عبادة الحق المتعال فإنه يجد نفسه مضطراً لنحت تمثال ليعبده، إلى درجة نرى فيها البعض من ذوي التخصصات المتميزة قد يتعلق بأمر سخيف يضحك منه العقلاء، نتيجة لهذا الفراغ القلبي.

٢١٣ - هنالك فرق شاسع بين الزاهد والمحب؛ لأن قلب الزاهد مشغول ببغض الدنيا، والمشغول ببغض الدنيا كالمشغول بحبها، فكلاهما مشغولان بشيء في الباطن حباً أو بغضاً، وإن كان هنالك فارق يتمثل في أن الأول - وهو المشغول ببغضها - يكون في طريق النجاة، بينما الثاني - وهو المشغول بحبها - يكون في طريق التسافل والهلاك. بينما المحب لا يلتفت أصلا إلى غير محبوبه؛ لأنه ليس في قلبه ندّ يشغله عنه.

٢١٤ - إن المؤمن يصل إلى درجة من التكامل، بحيث يعيش حالة الأنس الدائم في محضر الله تعالى. ولكن هذا الطريق محفوف بالمخاطر؛ لعزّته ووعورته وتكالب الشياطين على من يهمّ بالسير فيه، حسداً وغيضاً. كما أن لهذا الطريق آدابه، فمن خالفها لم يصل مبتغاه، بل قد يُؤدب لإعراضه بعد الإقبال.

٢١٥ - إن الإنسان إذا مات فقد كل موجبات الأنس من الأهل والولد والعشيرة، ولهذا يقال بأن ما يعيشه الميت ليلة الوحشة قد يكون أشد من سكرات الموت، فمن الذي يؤنسه وهو في ذلك المكان الموحش لسنوات لا يعلم مقدارها إلا الله تعالى؟ فما دمنا نعتقد بالمبدأ والمعاد، فلماذا لا نعقد علاقة قرب بمن يبقى أنسه معنا في كل المنازل وإلى أبد الآبدين؟

٢١٦ - إن المؤمن يمكنه أن يصل في حبه لله تعالى إلى درجة يفوق حبه للمحسوس، فهو الذي تراه القلوب حقيقة، فقد روي عن علي عليه السلام أنه

قال: «لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ وَ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَان» [1]، فكما أن الإنسان بإمكانه أن يدرك المعاني الانتزاعية التي لا وجود لها في الخارج كالزوجية والملكية، فإننا في الخارج نجد الزوج والزوجة لا الزوجية، وكذا فإنّا لا نجد غير المالك والمملوك في الخارج، ولا نجد علاقة الملكية إلا في الذهن، من هنا فإن الإنسان بإمكانه أن يدرك المعاني الحقيقية المتعلقة بعالم الغيب من صفات الجلال والجمال الربوبي، وبعدها يميل قلبه إليه ميل كل ناقص إلى الكامل المطلق.

٢١٧ - حاول أن تجعل جلّ همك في الحياة هو السير في طريق القرب من الله تعالى، وإن كان الأمر يستلزم شيئاً من المعاناة في أول الطريق، ولكن مع الإصرار فإنه تفتح لك الأبواب فترى من الحقائق ما لا يمكن أن توصف، وإلا فكيف نفسر هذه الغشوات التي تكون لأوليائه؟! وقد روي أن أبا الدرداء رأى علياًعليه السلام يدعو في الليل فأخذ في الدعاء حتى سقط كالخشبة الملقاة، فحركته فلم يتحرك فظن أنه مات فذهب الى أهله ينعاه، فقالت فاطمةعليها السلام بعد أن أخبرها الخبر: «**هِيَ - وَ اللهِ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ - الْغَشْيَةُ الَّتِي تَأْخُذُهُ مِنْ خَشْيَةِ الله**» [2].

٢١٨ - هنالك آية في القرآن الكريم تتضمن تهديداً بالغاً، وذلك للذي لا يقدّم حب الله ورسوله على حب غيره من عناصر هذا الوجود، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [3]. ولكن كم من الذين يقدّمون

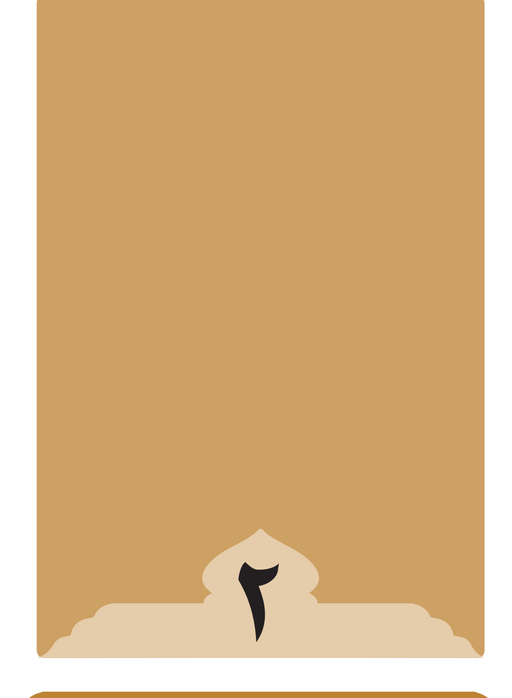
١) الكافي، ج١، ص٢٤٢.
٢) الأمالي (للصدوق)، ص٧٩.
٣) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

حبه على حب غيره؟ علينا أن نتكلف هذا الحب، فأوله تصور، ثم تصديق، ثم محاولة لتطبيق العمل على وفق ما يريده المحبوب، وعندئذ تفتح الأبواب تدريجياً إلى مرحلة يتجلى في القلب، وقد يظهر هذا التجلي خارجاً، وهو ما حصل لموسى عليه السلام حيث تجلى له ربّ العالمين فقال تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾[1].

٢١٩- إن العبد المحب لربه- والذي تجاوز مرحلة الميل إلى الحرام- يتحول إلى إنسان مطيع بشكل تلقائي من دون مجاهدة، فلو تعرّض لموقف إغراء يتجاوزه بنجاح، حيث إن عينه دائماً وأبداً نحو محبوبه الأعظم.

٢٢٠- هنالك من يتصدى لما يعود نفعه إلى العباد فيصبح من أهل الخير والبذل، ولكنه لا يراعي الجانب التعبدي في حركته، فتراه لا يتورع عن الحرام وانتقاص الغير، ويحب أن تكون أعماله مُعلَناً عنها، ومشتهِراً بها إلى غير ذلك مما يدل على بُعد أعماله عن الإخلاص لله تعالى والتقرب إليه.

١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.



همسات في العلاقة مع أهل البيت عليهم السلام

١ - ينبغي عندما نتوجه إلى أئمتنا عليهم السلام أن ننظر إليهم على أنهم مظاهر لتجلّي الصفات الإلهية، بما تحتمله الحدود البشرية. وهنا نقول: إذا كان حبنا صادقاً لهم فإن ذلك يدعو للتشبه بهم قدر الإمكان، إذ إن من أحب حبيباً تشبه به وأكثر من ذكره.

٢ - إن البعض عندما يذهب لزيارة المعصوم عليه السلام يظن أنه لا بدّ أن يعيش حالة الخشوع والبكاء لتكون زيارته مقبولة، ولهذا يرجع كئيباً حزيناً إذا لم يجد ذلك التفاعل المتميز عندما يقف أمام الضريح، وخاصة عندما يرى البعض في حالة تفاعليّة متميزة. فنقول له: إن الهدف من الزيارة ليس هو أن نعيش حالة الخشوع والبكاء فحسب. فكما يُقال في آداب الطعام المادي: «عندما تجلس على مائدة، لا تنظر إلى ما يأكله الغير»، فكذلك بالنسبة إلى الطعام المعنوي، فعليك أن لا تنظر إلى ذلك الزائر الذي غلب عليه الإقبال، فلكل إنسان حاله ومقتضى طبيعته، والحل هو أن تقدّم الشكوى بين يدي المزور، لينظر في حالك، ويرفع موجبات القسوة طالما وأنت بين يديه.

٣ - ليس كل تفاعل في المشاهد كاشف عن الأنس بصاحب ذلك المشهد، إذ إنّ البعض عندما تراه يتوسل باكياً في المشاهد أو عند الكعبة قد تغبطه على ما هو فيه، ولكنك لو دنوت منه وسمعت دعاءه، لرأيته

باكياً على فقد متاع، أو طلب شفاء، أو أداء دين، أو زواج، أو اضطراب يعيشه في باطنه.

٤ - إن ما وصل إلينا من أدعية أهل البيت عليهم السلام ليس إلا نزراً يسيراً من تراثهم. وهذه الأدعية غنية بالمعارف الإلهية، وتعكس ما كان لهم في جوف الليل من حنين وأنين بين يدي ربهم، بالإضافة إلى ما كانوا عليه من أعلى درجات الطهارة باطناً، والعمل بحذافير الشريعة خارجاً.

٥ - كان من الممكن أن لا يجعل تعالى شفيعاً بينه وبين خلقه، ولكنه أمرنا بتوسيط أهل البيت عليهم السلام عند دعائه وطلب الحوائج منه؛ لأنهم أطوع خلقه إليه وأقربهم منه، فجعلهم لنا سبباً للنجاة من ناحية كما قال تعالى: ﴿وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾[١] وسبباً لبيان فضلهم وقرب منزلتهم من ناحية أخرى. ومن المعلوم أنهم إذا سألوا الله تعالى فإنه لا ترد لهم دعوة، فتكون الاستجابة أكثر ضماناً وأسرع تنفيذاً.

٦ - إننا عندما نذهب لزيارة المشاهد المشرفة ونخاطب فيها تلك الأرواح المقدسة، فإننا لا نتصل بجماد لا يُدرِك، فإذا كان الشهيد حيّاً مرزوقاً عند الله عزّوجلّ كيف بأئمة الشهداء؟!

٧ - إن الزيارة في أصلها إنما هو توجّه إلى تلك الحقيقة المرتبطة بذلك المكان الذي ضمّ بدن المزور، وهي التي أكسبته تلك القداسة والخلود. ولا عجب في كون المكان الذي ضمّ هذه الأجساد الطاهرة محطّاً للألطاف والعنايات الإلهية؛ لأن عظمة الشيء تسري إلى متعلقاته، فأصل الالتفات إنما هو إلى الروح، ثم للبدن، ثم للمشهد الذي ضمّه، ثم لزائريه.

٨ - إن الزيارة هو تقديس للمعاني التي كانت مقترنة بتلك الأرواح الشريفة، وهذا التقديس ما هي إلا طريقة بشريّة طوال العصور

١) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

والأجيال، ومن هنا وُجد ما يُسمى بنُصب الجنديّ المجهول، تقديراً لهذا الشخص الذي سقى بدمه أرض وطنه. فإننا مثلاً بزيارة الحسينعليه السلام إنما نقدّس ونحيي فداءه تقرباً إلى الله تعالى، وكذا البطولة في نصر دينه.

٩ - يحسن بالمؤمن عندما يزور قبر المصطفىصلى الله عليه وآله أن يطلب من الله عزّ وجلّ أن يوفّقه للاستنان بسنّة حبيبهصلى الله عليه وآله ، ذلك النبي الذي كان خلُقه القرآن الكريم، وكان متأدّباً بأخلاق الله تعالى، والذي كان يقول: «**أَدَّبَنِي رَبِّي، فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي**»[١]، ومن المناسب في المقام مراجعة ما كُتب من سيرته وسنته.

١٠ - إن المؤمن عندما يقدّم الصلاة على النبي وآله قبل أن يدعو لنفسه، ثم يختم بها دعاءه أيضاً، فإنه بذلك يحقق موجب الإستجابة، حيث إن ربّ العالمين تعالى أكرم من أن يستجيب للطرفين ويهمل الوسط، أي: يتقبل الصلاتين على النبي وآله دون ما بينهما. فإن الصلاة على النبي وآله دعاء مستجاب قطعاً؛ لأن الله تعالى هو الذي أمرنا بذلك. فلو قدمنا هذه الصلوات عند الدعاء لأنفسنا، فإن ربّ العالمين سينظر لنا بعين اللطف والرحمة.

١١ - إن صلاة الله تعالى على حبيبه المصطفى تعني المباركة عليه، ومن المعلوم أن مباركة الله تعالى للنبي وآله لا نهاية لها، ومن مصاديق هذه المباركة: أن خلّد ذكره في القرآن الكريم، وقرن اسمه باسمه في الأذان والإقامة والتشهد، وجعل الشهادة بنبوته جزءاً للدخول في الإسلام.

١٢ - لا يخفى أن الأمّة عند فقد النبي وغيبة الوصي في حال يُتم، حيث فقدت الأب الكافل وهو من ذكره النبي الأكرمصلى الله عليه وآله بقوله: «**أنا وعلي أبوا هذه الأمّة**»[٢]. ومن هنا فالذي يتكفّل يتيماً من أمّة محمدصلى الله عليه وآله

١) بحار الأنوار، ج١٦، ص٢١٠.

٢) جامع الأحاديث، ج٢٣، ص٧٤٠.

ويتعهده في معاشه ومعاده إلى أن يكبر، فلا شك أن له أجراً عظيماً؛ لأنه سدّ فراغاً لهذا النقص الحاصل بهذا الفقد، فمن الطبيعي أن يكون أجره على الأب الكافل، وهو النبي صلى الله عليه وآله ومن يمثله من أوصيائه في كل عصر.

١٣ - إن الله تعالى يصف أهل البيت في سورة الدهر بقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[1]، فعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بل حتى خادمتهم التي تأثرت بهم، إنما كانوا يطعمون الطعام لوجه الله تعالى، لا يريدون من غيره جزاء ولا شكوراً. وذلك لأنهم لا يرون سواه بل وجود غيره تعالى كالعدم. إن الإنسان إذا وصل إلى هذه الدرجة من الرقيّ الباطني، فإنه لا يرى وزنا لمن أمامه، فما قيمة مدح الآخرين وشكرهم، أو عتابهم ولومهم، أو رضاهم وغضبهم في جنب الله تعالى؟!

١٤ - إن الله تعالى يتجلّى لمن يريد من عباده ليزيدهم يقيناً، كما تجلّى لأصحاب الحسين عليه السلام، ومن هنا نعتقد بأن خلود أصحاب الحسين عليه السلام كان لأمرين: جهادهم في أعلى الدرجات بين يدي إمام زمانهم، ثم الدرجة العليا من اليقين الذي وصلوا إليه. وإلا فالتأريخ مليء بالشهداء والمعذبين في سبيل الله تعالى، فلِمَ لم يكتب لهم مثل هذا الخلود؟

١٥ - إن من أفضل سبل الوصول إلى قلب مولانا الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، حمل همّ غيبته والتمهيد لظهوره، وذلك بإعداد النفس، ثم الأخذ بأيدي العباد المستضعفين، فكم يخفف ذلك ما في قلبه الشريف من الحزن.

١٦ - إن المعصومين عليهم السلام هم المستقرون في طاعة الله تعالى، والتامّين في محبته، فهؤلاء ما غفلوا عن الله تعالى طرفة عين. أما نحن فإيماننا

١) سورة الإنسان، الآية: ٩.

إيمان متذبذب بحسب الزمان أو المكان، أو الحالات، وهذا أحد أسباب تميزهم عنّا.

١٧ - إن البعض عندما يكون في الأماكن المقدسة يحرص على أن يكون متميزاً في عبادته، ولكنه ما إن يرجع إلى الوطن فإنه يعود إلى ما كان عليه، بل قد يفقد كل مكتسباته، بل قد يرتكب بعض الموبقات العظام!.

١٨ - إذا أردنا أن نصف علياًعليه السلام بكلمة مختصرة فيمكن القول بأنه: ثمرة دعوة إبراهيم الخليلعليه السلام الذي تمنى أن تكون الإمامة في ذريته. ومن الممكن أن ندرس هذه الشخصية الإلهية من ثلاث جهات: فتارة من جهة الذات، وتارة من جهة السيرة والسلوك، وتارة من جهة المقام والمتمثل بالقيادة في الأمة.

١٩ - إن الله تعالى يعطي بعض المزايا للذوات المطهرة تكريماً لها، وما أعظم هذه الامتياز الذي أُعطي لعليعليه السلام، حيث جعل تعالى مولده في البيت الحرام، فلم ينقل التاريخ أن هنالك شخصية وُلدت في بيت الله الحرام إلا عليعليه السلام.

٢٠ - إن لعليعليه السلام قصتين مع الكعبة: فالأولى: الولادة في جوفها، والثانية: تحطيم الأصنام متخذا من كتف النبيصلى الله عليه وآله سلّماً يرتقي عليه. وكأن الله تعالى أراد بذلك التكريم أن يعوّضه عما سيعانيه في حياته، في سبيل عبوديته لرب الكعبة!.

٢١ - إن علياًعليه السلام جسّد العبودية لله تعالى في كل مراحل حياته، بدءاً بمبيته في فراش النبيصلى الله عليه وآله ليلة الهجرة، ومروراً بصبره على ما جرى بعد وفاة النبيصلى الله عليه وآله فلم يقدم على ما فيه شرخ في حياة الأمة، ليطمع فيها الأعداء المحدقين بها من كل حدب وصوب، وانتهاء بعدم تنازله عن مبادئه في سبيل تثبيت دعائم حكومته.

٢٢ - إذا كان موسى عليه السلام لمّا أراد أن يغيب عن قومه أربعين يوماً، يستخلف عليهم أخاه هارون، فكيف يُعقل أن يُهمل النبي صلى الله عليه وآله مبدأ الإستخلاف بالنص وهو يريد أن يغادر الأمة إلى الأبد، وهو العالم ببذور الفتنة التي أنبتتها الأيام؟!

٢٣ - ليس من المقبول أبداً أن يُهمل الشارع المقدس مسألة الحاكمية والولاية على الأمة، والتي هي من أخطر مفردات العلاقة في المجتمع الإنساني، وذلك لأن سلوك القاعدة البشرية مرتبط ارتباطاً وثيقاً برأس الهرم القيادي.

٢٤ - إن الولاية على الأمة مقام عظيم، وليس ذلك لكل من انتصر بالسيف، ولا لمن اجتمع عليه قوم، وكما أن الله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، فإنه أيضاً أعلم حيث يجعل وصايته؛ لأن الوصاية -كالإمامة- من حيث قيادة الخَلق المستلزمة للعصمة، ولا يمكن أبداً أن تكون لظالم، لأنه عهد الله تعالى في خلقه الذي لا يناله ظالم ولو لفترة من حياته. والأمر كما ذكره الصادق عليه السلام: «**لَا يَكُونُ السَّفِيهُ إِمَامَ التَّقِي**»[1]. وما نحن فيه هذه الأيام من الفتن، إنما هو من ثمرات مخالفة الجعل الإلهي الذي اظهره نبيّه في يوم الغدير.

٢٥ - إن مقام علي عليه السلام يتمثّل في إمامة الخلق، ولا خلاف في أن تقديم المفضول على الفاضل غير مقبول عقلاً ولا عقلاء، وها نحن بفطرتنا لا يمكننا تطبيق ذلك في حياتنا اليومية. ولكن ما الذي جرى في الأمة وعليها، إذ سُلب هذا المقام من علي عليه السلام؟!

٢٦ - إن إمامة علي عليه السلام تتجلّى في مواقفه، فهو الذي نقل العبادة من المحراب إلى ساحة الحياة. كما تتجلى في علمه الإلهي، فمن غيره يتجرأ

١) الكافي، ج١، ص٤٢٦.

أن يقول هذه المقولة: «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي» [1]؟!

٢٧ - من الطبيعي أن المؤمن عندما يقرأ سيرة المعصومين عليهم السلام - بما فيها من مكارم الأخلاق والمُثل العليا - تتولد عنده حالة من الحب لهم والإعجاب بهم. ولكن هذا الإعجاب قد لا يلازم الاقتداء بهم، والدليل على ذلك أن مثل هذا الإعجاب بلا عمل نراه عند غير المسلم كما هو مشاهد في مؤلفاتهم!.

٢٨ - إن الله تعالى أراد أن يؤدبنا بأدبه، فخلق خلقاً يمثلون أعلى مستوى من الاتصاف بصفات الله تعالى في حدود البشرية. فلا ينبغي أن نجعلهم وسيلة فقط لقضاء الحوائج، بل اتخاذهم الوسيلة لتحقيق السعادة في النشأتين، ولبلوغ درجة الرضوان عنده.

٢٩ - إن الذي ينظر إلى المعصومين عليهم السلام على أنهم وسيلة لقضاء الحوائج فحسب، فإنه لو قصدهم ولم تقض عندهم حوائجه، فقد يضعف إيمانه بهم، وقد يزول ذلك الحب المصلحي - الذي هي مقدمة لقضاء المآرب - وإن استحى من إظهار ذلك!

٣٠ - إن أرقى صور الحب للأئمة المعصومين عليهم السلام، هو: أن ننظر إلى هذه الذوات المقدسة على أنهم الحبل الممدود بين الأرض والسماء، وهم مظهر تجلّي الصفات الإلهية بما تحتمله الحدود البشرية، ونحاول بقدر الإمكان أن نتشبّه بهم.

٣١ - إن من لوازم المحبة الصادقة الإكثار من ذكر المحبوب والتشبّه به، سواء كان المحبوب الأول وهو ربّ العالمين، أو المحبوب التبعي الذي أمرنا الله تعالى بحبه وولايته.

٣٢ - إن الفترة الزمنية التي عاشتها الزهراء عليها السلام لم تكن كافية لتتجلى منزلتها الحقيقية، من خلال أقوالها وأفعالها المستندة إلى عالم الغيب،

١) شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٢٨٦.

ومن هنا شُبهت بليلة القدر في خفاء المنزلة. ومن المعلوم أن الطريق لمعرفة إنسان يكون إما بالمعاشرة، أو بتقييم الآخرين له. فمن سبل معرفة منزلة الزهراءعليها السلام التأمّل فيما قاله المعصومونعليهم السلام في حقها، وهو ليس بالقليل من جهة المضامين.

٣٣ - إن تعبير النبيصلى الله عليه وآله عن ابنته قائلاً: «**إِنَّ اللهَ يَغْضَبُ لِغَضَبِ فَاطِمَةَ وَ يَرْضَى لِرِضَاهَا**»[1]، يدل دلالة قاطعة على عصمة الزهراءعليها السلام. فإن غضب فاطمة كاشف عن غضب الله تعالى وغضب الرسول، فكما أن النبيصلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى، فكذلك الزهراءعليها السلام لا تغضب أو ترضى عن هوى، لما ذكرنا من كاشفية غضبها لغضب الله تعالى ورسوله.

٣٤ - إن أئمتناعليهم السلام كانوا يرون ملكوت الأمور ولهذا كانت حياتهم العبادية تتضمن أعلى درجات الحرص على الطاعة، وكانوا يتعبون أنفسهم الشريفة في العبادة. من هنا تعرف لماذا كانت الزهراءعليها السلام تقف في محراب عبادتها حتى تتورم قدماها، وما الذي كان يدفعها لذلك، أليست هي اللذة بالعبادة التي جعلتها تنسى كل التعب وهي واقفة بين يدي الله تعالى؟!.

٣٥ - من الممكن القول أنه من المستحيل الاستنان بسنة النبي الأكرمصلى الله عليه وآله بمعنى مطابقة أفعالنا لأفعاله وملكاتنا لملكاته؛ لأن الله تعالى ما خلق أجمل منه في عالم الوجود. ولكن يمكن للمؤمن التشبه بأفعال النبيصلى الله عليه وآله استناناً به كما دعا إليه القرآن الكريم، وذلك بأن يحاول أن يطبّقها ولو مرة في العمر.

٣٦ - إن أئمتناعليهم السلام هم أعلام الهدى ومظاهر لتجلي الصفات الإلهية، سواء كانوا في عهد الصبا أو بعده، من جهة أن ذلك من عوارض الأبدان

١) الأمالي (للصدوق)، ص٣٨٤.

لا الأرواح، فلا غرابة في تسلّم إمامنا الجوادعليه السلام لمقاليد الإمامة وهو في سن التاسعة، وقد بُهر الناس به عندما وقف موقف الفتيا والحديث.

٣٧ - ينبغي علينا - عند زيارة الأئمةعليهم السلام - أن نلتفت إلى أنهم حقائق نورية، ولا فرق في أن نتوسل بهم في حال الحياة أو الموت، فإن البدن ما هو إلا دابة الروح، وهذه الأرواح المقدسة كانت أنواراً محدقة بالعرش قبل خلقة آدم[1]؛ فأنزلها الى الأرض منّة على عباده.

٣٨ - إن علياًعليه السلام صاحب هذه الروح العظيمة، الذي لم ينس حتى قاتله، حيث أشركه في طعامه، كيف يهملنا ونحن الذين نحمل له هذا الحب الكثير؛ فإننا و منذ أن ولدتنا أمهاتنا نهتف باسمه، ونفرح في مولده، ونبكي في استشهاده؟! كيف يتركنا بلا شفاعة في عرصات القيامة ونحن في حالة من التحير والخوف؟!

٣٩ - إن الله تعالى أراد أن يجعل حياة عليعليه السلام محصورة بين البيت والبيت: ولادة في الكعبة، واستشهاداً في مسجد الكوفة، ومعنى ذلك أن حياة عليعليه السلام حياة التوحيد، حياة تحطيم الأصنام، أياً كان ذلك الصنم مادياً أو معنوياً.

٤٠ - إن الولاية لا تنحصر بالاعتقاد بأن الوصي والخليفة هو عليعليه السلام ، ولا بالمشاعر القلبية المجردة، بل ينبغي أن نشايعهعليه السلام قولاً وفعلاً، وذلك بأن نضع قدمنا موضع قدمه الشريف، فإن الولاية اعتقاد ومشاعر وعمل، فالذي يدّعي أنه يشايع علياًعليه السلام عليه أن يكون ساعياً نحو الكمال بما أمكنه في عالم الفكر والقلب والجوارح.

٤١ - ليُعلم أن الذي غلب على عقله الطابع المادي، لا يستوعب الأمور الغيبية؛ فيستغرب أدنى فضيلة أو كرامة للذوات المقدسةعليهم السلام ، ومن هنا تجده ينسب ذلك إلى الغلو، والحال أن الكرامة تعود إلى واهبها ومن

---

١) انظر: الأمالي (للطوسي)، ص١٨٣.

أجراها على يد عبد من عباده المنتجبين.

٤٢ - إن مولاتنا فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين، فهي القمة في الفضيلة، وكذلك هي القمة في تحمل الرزايا، فقد تحملت من العذاب ما تحملت في سبيل الإمامة كالذي تحمله أبوها صلى الله عليه وآله في سبيل الرسالة، وليعلم أنها تمثل الخط المستقيم في حياة الأمة في كل العصور والذي يتعرض لهذا الخط لعلى ضلال بيّن.

٤٣ - إن الله تعالى لم يخلق الإنسان عبثاً، بل أراد له العروج في سلّم الكمال، ولهذا رسم له أجمل صورة بشرية، متمثلة بالأنبياء والأوصياء، ليستلهم منهم مبادئ وأسرار الطريق. ومن اتخذ غيرهم دليلاً تاه في ظلمات الضلال، ولم يزدد إلا بعداً عن الهدف الذي خلق من أجله!.

٤٤ - إن مولاتنا زينب عليها السلام بلا شك سيدة نساء عصرها، وهي عالمة غير معلَّمة، وكم من الفخر لهذه السيدة الكبرى أن تكون شريكة لإمام زمانها الحسين عليه السلام في تثبيت قواعد الرسالة. ولهذا فإن من أعظم المصائب على قلب مولانا الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف مصيبة أسر عمته زينب عليها السلام؛ لأن هذا الهتك وقع على سيدة جليلة تمثل خط الرسالة.

٤٥ - لا ينبغي للمؤمن اليأس عندما يرى تكالب قوى الكفر، فإن القلوب بيد خالقها يصرفها كيفما شاء، وهو الذي نجّى الإمام السجاد عليه السلام من بين يدي الظلمة الذين ما رحموا حتى رضيع الحسين عليه السلام كما أنه هو الذي نجّى موسى عليه السلام من فرعون الذي كان يقتل الرضّع وإذا به يتخذ من خصمه ربيباً في حجره: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾[1]!.

٤٦ - إن البعض يستعظم أدنى بلاء يصيبه، وتراه وكأنّ الدنيا قد ضاقت عليه بما رحبت والحال بأن المؤمن مأمور عندما تنزل به أي ملمة

---

١) سورة القصص، الآية: ٨.

أن يتذكر مصائب الحسين عليه السلام التي عظمت في السماوات والأرض، فتهون عليه كل مصيبة.

٤٧ - إن البعض يشتكي من مشكلة في حياته فيصفها بأنها قاصمة للظهر، والحال أن مولانا السجاد عليه السلام الذي يحمل الاسم الأعظم وكان محاطاً بملائكة النصر والتأييد، وإذا به يقاد من بلد إلى بلد على بعير بغير وطاء وتحت حرارة الشمس الملتهبة بثقل الأغلال الجامعة التي أكلت من بدنه الشريف، ولكنه مع كل ذلك كان في كمال التسليم له حيث كان يلهج بذكر الله تعالى ويناجيه في حله وترحاله.

٤٨ - إذا كان إدخال السرور على قلب مهموم له أثر في السعادة في الدنيا قبل الأجر العظيم في الآخرة، فما أعظمه من أثر لو كان ذلك السرور داخلاً على قلب كقلب صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف وهو من أكثر القلوب حملاً للهموم وذلك لما يجري على هذه الأمة! فلندخل عليه السرور، ولا نكون سبباً في زيادة حزنه.

٤٩ - عندنا طوال السنة محطات متعددة بعدد مواليد المعصومين عليهم السلام ، فلو أخذنا من كل معصوم صفة من صفاته المتميزة، لخرجنا بحصيلة يعتد بها لترسيم شخصياتنا من جديد على وفق ما كانوا عليه من كريم الأخلاق.

٥٠ - إننا نعتقد أن الموالين الذين اتبعوا منهج أهل البيت عليهم السلام يتميزون بصفتين: الأولى: الجانب العلمي المتميز من الوعي والثقافة الدينية، وذلك لالتزامهم بحضور المجالس الحسينية - التي تعد جامعات إسلامية متنقلة - على الأقل ثلاثة أشهر في السنة. والثانية: الجانب العاطفي والتفاعل الشعوري، الناشئ من التأثر بما جرى عليهم، وكل هذا يدعو الى شد الرحال لزيارتهم، إذ إنها سياحة روحية فيها الكثير من البركات.

٥١ - إن المؤمن يأنس بزيارة المشاهد المقدسة كلها، ولكن لزيارة الرضاعليه السلام ميزتها المختصة بها فإن الزائر له يعيش حالة من الأنس الشديد. ونعتقد بأن ذلك منحة إلهية مقابل الكبت والأحزان التي عاشهاعليه السلام في حياته، إبان قبوله لولاية العهد بالإجبار والتهديد في عهد المأمون.

٥٢ - إذا رأيت انحرافاً في أحد المقربين منك، لا تتردد في أخذه إلى مجالس الحسينعليه السلام ، فإنها بلا شك - إلا ما قد أقيم رياء أو نفاقاً - تحت رعاية مولانا صاحب الأمرعجل الله تعالى فرجه الشريف الذي يقيم عزاء جده الحسينعليه السلام صباحاً ومساءً، ويبكي بدل الدموع دماً، فإن عنايته تقلب كيان الحاضرين في عزاء جده الشهيد كما هو متوقع منه!

٥٣ - إن لنا في مولاتنا زينبعليها السلام خير أسوة؛ إذ جمعت بين الحياء والعفة وبين المنطق والحكمة فضلاً عن القوة في تحدي طواغيت زمانها. وهي لم تصل إلى هذه الدرجة من الكمال لأنها بنت أمير المؤمنينعليه السلام فحسب بل لأنها فازت بأعلى درجات المجاهدة قبل ذلك، فإن هذه الهبات المعنوية لا تعطى جزافاً، بل إن لها موجباتها من جهة العبد.

٥٤ - إن المؤمن قد يأخذ حقه - أحياناً - ببعض صور التظلم، كما كان للمعصومينعليهم السلام ، فهم اكتسبوا من ذلك الذكر الجميل الخالد إلى يوم القيامة؛ لأنهم بيّنوا ظلامتهم للعالمين، فتغلغلوا في نفوس من أدرك ظلامتهم.

٥٥ - ينبغي في مناسبات ولادة المعصومينعليهم السلام واستشهادهم أن نعاهد الله تعالى على أن نأخذ من كل إمام الصفة التي برزت فيه، ولا خلاف في أن الأئمةعليهم السلام كلهم نور واحد، ولكن كل إمام برزت فيه بعض الصفات، للظرف الذي كان يعيشه.

٥٦ - إذا اعتقدنا بصدق أمير المؤمنينعليه السلام وبعصمته، وأنه كأخيه

المصطفى صلى الله عليه وآله وجب علينا - تبعاً لذلك - أن نؤمن بإمامة الإمام المجتبى عليه السلام إلى الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، والذي يخل باعتقاده في أحد هذه الأعلام البارزة في حياة الأمة، لم يكن متبعاً للنبي صلى الله عليه وآله؛ لأنه هو الذي دعا الأمة الى اتباع هذه السلسلة الطاهرة.

٥٧ - إن قائد الأمة ينبغي أن يكون أفضل شخصية تكاملاً، فهذا إبراهيم عليه السلام لم يجعله تعالى إماماً إلا بعد اجتياز الامتحانات الإلهية. فكيف يمكن أن نستوعب هذه المقولة الباطلة: «الحمد لله الذي قدم المفضول على الفاضل»[1]؟!

٥٨ - لم نعهد نبياً من الأنبياء السلف أنه طالب أمته بأجر دعوته، إلا النبي الخاتم صلى الله عليه وآله: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[2]؛ وذلك لأن النبي صلى الله عليه وآله أراد أن يربط الأمة بقيادتها، ولقد رأينا ما آل إليه أمر الأمة، عندما ابتعدت عن القيادة رغم هذه التوصيات الأكيدة.

٥٩ - إن البعض يعيش حالة الشك والتردد حول ما جاءت به الشريعة، فيجهد نفسه في مناقشة مسألة فرعية، متجاهلاً وغافلاً عن الأصول والأساسيات، ولذلك فإنه يعيش دائماً حالة القلق الفكري، والحل هو تحقيق روح التعبد والانقياد للشريعة وصاحبها.

٦٠ - إن النبي صلى الله عليه وآله كان يتعمد إظهار منزلة فاطمة عليها السلام سرّاً وجهاراً أمام المسلمين في مناسبات متعددة كقوله صلى الله عليه وآله عنها: «**هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَ هِيَ نُورُ عَيْنِي، وَ هِيَ ثَمَرَةُ فُؤَادِي، وَ هِيَ رُوحِيَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَي**»[3]. ومن الواضح أن كل بنت هي بضعة لأبيها، ولكن فاطمة عليها السلام بضعة لأبيها لا من جهة اللحم والدم فحسب، بل من جهة الروح والذات ايضا!

١) قاله ابن أبي الحديد في خطبة شرحه على نهج البلاغة: «الحمد لله الذي... قدم المفضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف»!!!.

٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٣) الأمالي (للصدوق)، ص١٧٥.

٦١ - كان النبي صلى الله عليه وآله إذا قدمت فاطمة عليها السلام قام إليها وقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان يكنيها بـ «أمّ أبيها»[١]، ومن المعلوم أن الأمّ هي نبع الحنان والعطف، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله بمثابة الأمّ لها في صغرها بعد وفاة أمّها خديجة عليها السلام، فكأنّها ردت الجميل بأن صارت أمّاً لأبيها في كبرها.

٦٢ - روي عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: «**هِيَ الصِّدِّيقَةُ الْكُبْرَى وَ عَلَى مَعْرِفَتِهَا دَارَتِ الْقُرُونُ الْأُولَى**»[٢]. ومنه يظهر أن الأنبياء من لدن أبينا آدم عليه السلام كانوا يعرفون منزلة فاطمة عليها السلام؛ لأنهم كانوا يعرفون ما وراء الحجب من عالم الغيب بوحي من الله تعالى، وما كانت الأنوار الفاطمية خافية على أهل العرش حيث خلق الله تعالى نور أهل الكساء عليهم السلام قبل الخلق[٣].

٦٣ - إن الزهراء عليها السلام لم تُر مسرورة بعد وفاة أبيها إلا في موقف واحد، وذلك عندما وصف لها النعش، فاطمأنت إلى أنه لا يُرى حجم بدنها عند التشييع، مع أنه كان ليلاً وفي ثلّة من أصحاب علي عليه السلام. أَوَليس من الحق تأسي محبات فاطمة عليها السلام بهذه العفة والحياء؟

٦٤ - لقد كانت الزهراء عليها السلام تُؤْثِر الآخرين على نفسها وأهل بيتها، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في قصة إطعام المسكين واليتيم، بل حتى الأسير الكافر، حيث لم يفطروا ثلاثة أيام إلا على الماء[٤]. ولا عجب في ذلك فأهل البيت عليهم السلام مظهر الرحمة والكرم الإلهي الشامل لكل الطبقات.

٦٥ - إن الزهراء عليها السلام كم فرحت لما حدد النبي صلى الله عليه وآله نشاطها داخل المنزل تاركاً لعلي عليه السلام السعي خارجه، ولكنها عندما استدعى الموقف الدفاع عن إمام زمانها تراها تخرج في لمّة من النساء؛ لتخطب تلك

---

١) انظر: كشف الغمة، ج٢، ص٩٠.
٢) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٠٥.
٣) انظر: علل الشرائع، ج١، ص١٨٠.
٤) انظر: الكشاف، ج٤، ص١٩٩، تفسير سورة الإنسان.

الخطبة التي بقيت في التاريخ إلى يومنا هذا.

٦٦- هنالك جماعات متطرفة جهلة يمارسون الخشونة باسم الدين، ولا شكّ أن هؤلاء وراءهم أيد خبيثة؛ لتشويه سمعة المسلمين، وقد أساؤوا للدين وكرّهوا الناس الدخول في الإسلام. إن النبي صلى الله عليه وآله جاء بالشريعة السمحة، ولقد تحمّل في مكة هو وأصحابه أشد أنواع العذاب، وهو يدعو الناس بالمنطق والبرهان، وعندما أقيمت الحكومة الإسلامية في المدينة لم يقاتل إلا بالحق وللحق.

٦٧- إن المبعث النبوي وإن كان حدثاً خاصاً بالنبي المصطفى صلى الله عليه وآله، إلا أنه من الممكن أن تتحقق لكل إنسان بعثته بحسبه، فمن لم يسلم فبعثته أن يدخل في الإسلام، وأما الذي أسلم وآمن فبعثته أن يترقى في طريق العبودية إلى مقامات المخلصين.

٦٨- إن البعض يُعفي نفسه من رتب العبودية العالية، بدعوى أنها للخواص ولا يمكن الوصول إليها في هذا الزمان، والحال بأن علياً عليه السلام في وصف المتقين[١] طرح منهج تكامل للجميع، وليس لخواص الأمة فحسب، والله تعالى يأمرنا في كتابه بأن نسارع إلى الخيرات، والمغفرة، والجنة، والفرار إليه: ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾[٢] و ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾[٣] و ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾[٤].

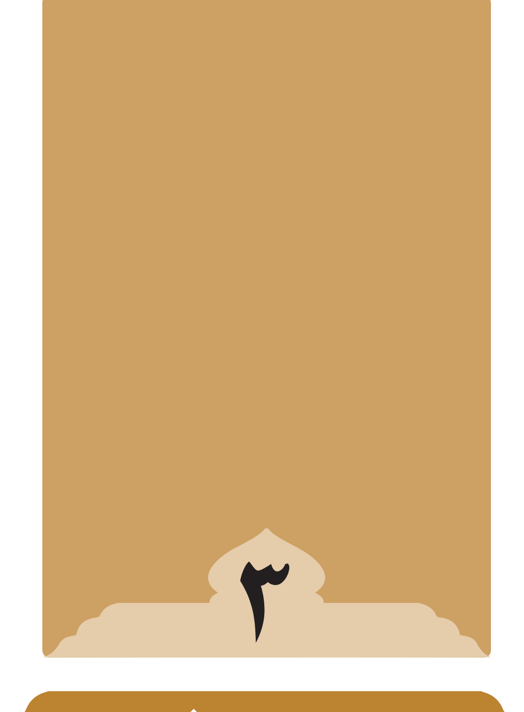
٦٩- إن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله كانت له ملكاته قبل المبعث، ولكنه يوم المبعث تمّ ذلك التجلي الأعظم بالنسبة إليه دفعة واحدة. وعليه فإن تذكّر مبدأ تفتّح القابليات دفعة واحدة، يجعل المؤمن يصبر على مجاهدة النفس ولو كانت في سنوات طويلة، ما دام هو في النهاية يجني

١) انظر: نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٣.
٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٤.
٣) سورة آل عمران: الآية: ١٣٣.
٤) سورة الذاريات: الآية: ٥٠.

ثمار تعبه ومجاهدته ولو في ليلة واحدة. كالوردة التي إذا تكامل نموها تفتحت أكمامها وبان جمالها، ونشرت عبيرها الأخاذ. فمن الضروري التحلي بالصبر وعدم اليأس، وإن طال الزمن.

٧٠- إن المؤمن عندما يقرأ كلمات الحكمة الصادرة من سيد الشهداء عليه السلام، ثم بعد ذلك يستمع لمصيبته، فإن التفاعل يكون عندها يكون تفاعلاً مضاعفاً؛ لأنه يدرك بأن الذي هتكت حرمته في يوم عاشوراء، هو صاحب هذا الكلام البليغ، وهذه من درجات المعرفة التامة.

٧١- كان العباس عليه السلام مقاتلاً في لحظاته الأخيرة من أجل إيصال الماء إلى أطفال الحسين عليه السلام، بينما جيش الظلم والطغيان كانوا يقاتلونه لمنعه من ذلك. فانظر إلى الفرق بين الصورتين: قلب استشعر صفة الرحمة الإلهية فخلد الله تعالى ذكره، وقلوب نزعت منها الرحمة فاستحقت اللعن المؤبد!.



همسات في
العلاقة مع العبادة

١ - إن من الأمور التي يُستشم منها رائحة الطرد الإلهي لعبده هو: النعاس والكسل عند الصلاة، وسلب الإقبال في المناجاة؛ فالعبد قد يناجي ربه تعالى قولاً بحسب ظاهره، ولكن قلبه يكون مشغولاً وملتفتاً إلى كل شيء سواه، وبذلك فهو لا يفقه ظاهر القول فضلاً عن معناه.

٢ - إن حضور القلب في الصلاة فرع سيطرة الإنسان على القلب، أي: لا بدّ من السيطرة عليه في الأول، لكي يسيطر على ما فيه من هواجس وخواطر. وهذا الأمر لا يحصل إلا بالرياضة والمجاهدة، وحبس النفس - فكراً وإرادة وميلاً - على ما يقتضيه العقل المستسلم لإرادة الحق المتعال.

٣ - إن النائم يسقط عنه التكليف، ولا يُحاسب على فوات صلاته بالنوم ما لم يكن مقصراً في مقدمات استيقاظه، ولكن ينبغي لمن عنده موعد لقاء مع رب العالمين أن لا يهمل ذلك الموعد؛ إذ لا بدّ له من الحذر من أي شيء يوجب فوات هذه الفرصة الذهبية كالسهر فيما لا نفع فيه. وليُعلم أنه لو كان الأمر مما يُهمّ الإنسان في شخصه - كموعد سفر أو امتحان، أو لقاء مع من تُقضى عنده حاجة - لما انتابه النوم أصلاً، أو لم يغلب عليه كما هو مشاهد خارجاً.

٤ - لو أن إنساناً أحبك وأراد أن يقترب منك متودّداً إليك، ولكن

حال بينه وبينك عدوّ غشوم يؤذيه كلما اقترب منك، ألا تستقبله - بعد دفع العدو - بحفاوة بالغة، على عكس ما لو استقبلت أحدهم من دون معاناة منه في تقربه؟ فالمؤمن الذي يصلي بمعاناة، فيجاهد الشيطان الرجيم أثناء الصلاة دفعاً للخواطر، فإنه قد يكون أقرب إلى ربه ممّن لا يجد معاناة في ذلك.

٥ - إن من المقامات التي يستجاب فيها الدعاء: هي المشاهد المقدسة لأهل البيت عليهم السلام والمساجد المباركة كالمسجد الحرام، إلا أن هنالك مقاماً آخر من مقامات الاستجابة، ألا وهو مقام المصلي بين يدي ربه أينما كان، وهو ما ذكره الإمام السجاد عليه السلام بقوله: «**يَا رَبِّ هَذَا مَقَامُ مَنْ لَاذَ بِكَ وَ اسْتَجَارَ بِكَرَمِك**»[١].

٦ - يستحب للمؤمن أن يتّخذ في بيته مسجداً، وذلك بأن يخصص لنفسه مكاناً يفزع إليه كلما أراد أن يناجي ربه، إضافة إلى إتيان فرائضه ونوافله فيه. وقد ورد استحباب نقل المحتضر إلى موضع صلاته في منزله؛ لأنه موضع نزول الرحمة. ومن المعلوم بأن البيوت التي يُذكر فيها الله تعالى ويُتلى فيها القرآن الكريم، تضيء لأهل السماوات كما تضيء النجوم لأهل الأرض.

٧ - إن الله عزّوجلّ إذا رأى عبده في جوف الليل وهو في حال خضوع وخشوع، فإنه من الممكن أن يباهي به الملائكة المقربين. فالملائكة موجودات مجبولة على العبادة، وقوتها يتمثل بالتسبيح والتهليل، بينما هذا العبد قام باختياره لمناجاة ربه تاركاً لذيذ الفراش للوقوف بين يدي مولاه.

٨ - إن المؤمن في دعائه في جوف الليل يذكر إخوانه المؤمنين بما يتذكر، كما نلاحظ في دعاء الإمام السجاد: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَ مَيِّتِنَا**

---

١) مصباح المتهجد، ص٥٨٦.

شَاهِدِنَا وَ غَائِبِنَا ذَكَرِنَا وَ أُنْثَانَا صَغِيرِنَا وَ كَبِيرِنَا حُرِّنَا وَ مَمْلُوكِنَا»[1]، حيث إنهعليه السلام ما ترك أحداً في دعائه الشريف، بل ولم ينسَ حتى العبد المملوك، مما يعكس لنا شدة رأفتهعليه السلام بمن حوله. وقد روي عن الإمام الكاظمعليه السلام أنه قال: «**كَانَتْ فَاطِمَةُعليها السلام إِذَا دَعَتْ تَدْعُو لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ، وَ لَا تَدْعُو لِنَفْسِهَا، فَقِيلَ لَهَا: يَا بِنْتَ رَسُولِ اللهِصلى الله عليه وآله إِنَّكِ تَدْعِينَ لِلنَّاسِ وَ لَا تَدْعِينَ لِنَفْسِكِ، فَقَالَتِ: الْجَارَ ثُمَّ الدَّارَ»**[2].

٩ - إن الصوم ذو درجات؛ فأدناها الإمساك عن الطعام والشراب، وأعلاها الإمساك عمّا سوى الله تعالى. ومن هنا فمن المناسب للمؤمن أن يسأل الله تعالى أن يعينه على ذلك الصيام الذي يشبه صيام الرسولصلى الله عليه وآله وآلهعليهم السلام والخلّص من أوليائه، وذلك في الإمساك بقول مطلق.

١٠ - كما أن البدن يحتاج إلى عناصر غذائية متنوعة، وأن النقص في توفيرها قد يعرّض صاحبه للضعف والمرض، فكذلك الروح ينبغي أن تُعطى كل مقومات الفلاح والصلاح. ولهذا نلاحظ في الأدعية أن هناك إشارة تارة إلى الجانب الفردي: من التوفيق للصيام والقيام وتلاوة القرآن، وتارة إلى الجانب الاجتماعي: من توفيق كفالة الأيتام وإطعام الطعام وإفشاء السلام.

١١ - إن المؤمن بمقدار اهتمامه وإقباله في الصلاة تنكشف منزلته عند الله تعالى، وإلا فليعلم أنه ليس بقريب من الله تعالى ولو شهد له جميع أهل الأرض بخلاف ذلك، حيث إن إقباله على الله تعالى في صلاته، كاشف عن إقبال الله تعالى عليه.

١٢ - إن الصلاة عبارة عن لقاء مصغر مع ربّ العالمين، فالذي يشتاق

---

١) إقبال الأعمال، ج١، ص٧٠.
٢) وسائل الشيعة، ج٧، ص١١٣.

إلى ربّه في الصلوات اليومية ويستمتع بها في هذه المدة القصيرة، كيف لا يشتاق إلى ذلك اللقاء الأبدي في جوار رحمة الله تعالى. ولهذا فإن الموت للمؤمن بمثابة لقاء المحب بحبيبه!

١٣ - هنالك ترابط وثيق بين سهولة نزع وخروج الروح وبين المحافظة على الصلوات، فمن أعطى اللقاء الإلهي حقه في الدنيا من خلال الصلاة، فإنه سيجد من عطاء اللقاء الإلهي في عالم البرزخ ما تقرّ به عينه!

١٤ - من ألطاف الله تعالى بالبعض أنه يعطيهم فرصة قبل الموت، بما يسمى براحة الموت، ولكن هذه الفرصة قد لا تُستغل؛ فينبغي للمؤمن الاستعداد لذلك اليوم، بأن يكتب في الوصية ما عليه من حقوق لله وللعباد، وما يحب تنفيذه بعد موته.

١٥ - هنالك يقظة وانبعاث في عالم الطبيعة متمثلة بموسم الربيع، حيث يحيي الله تعالى به الأرض بعد موتها، فتعطي من بركاتها. وكذلك هنالك يقظة في عالم الأرواح أيضاً وذلك في مواسم العبادة، إذ تُرفع الموانع للتقرب إلى الله تعالى. ثم إن هذه اليقظة الروحية المكتسبة لهي نعمة كبيرة، ولا بدَّ من استثمارها. وإلا فإن مثَل من يخسر هذه البركات فيها، كمزارع كسول وهو في فصل الربيع - حيث الأمطار الغزيرة - وبجواره أكياس من البذر، ولكنه في نهاية الفصل لا يرى زرعاً ولا ثمراً؛ لأنه لم يكلّف نفسه شيئاً من الجهد.

١٦ - إن ارتكاب الذنب بعد التوفيق للطاعة قاصم للظهر؛ ولهذا ترى أن من يرتكب الحرام في شهر شوال - بعد ذلك التميّز في موسم العبادة - يصل إلى أدنى مستويات الإيمان، وكأنّ قلبه كالخرقة البالية!

١٧ - ينبغي للمؤمن أن يرتّب سلّم الأولويات في حوائجه، فيقدم الحوائج المعنوية على الأمور الفانية، وخاصة عندما يزور المشاهد

المقدسة، ويرزق حالة الرقة فيها؛ فيطلب من الله تعالى حينئذ تجلياته وعناياته الخاصة، وهو تعالى يعلم كيف يوصل العبد إلى تلك العناية واللطف، ولنتأس بإمامنا الحسين عليه السلام الذي يقول في دعاء عرفة: «**أَسأَلُكَ اللّهُمَّ حاجَتِي الَّتِي إِنْ أَعْطَيْتَنِيها لَمْ يَضُرَّنِي ما مَنَعْتَنِي، وَإِنْ مَنَعْتَنِيها لَمْ يَنْفَعْنِي ما أَعْطَيْتَنِي**»[1].

١٨ - إن صلاة الليل لها أهمية بالغة في مسيرة العبد التكاملية، ولم يبلغ ولي من أولياء الله تعالى مبلغاً في التقوى والكرامة إلا بقيام الليل. وقد ورد عن الإمام العسكري عليه السلام: «**إِنَّ الْوُصُولَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ سَفَرٌ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِامْتِطَاءِ اللَّيْلِ**»[2]، وكأنّ الليل هي الدابة السريعة التي توصل إلى المقصد وهو لقاء الله تعالى. وقد أبهم تعالى الجزاء متعمداً في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[3] تحفيزاً لأهل الليل ومن يبحثون عن وجهه في الأسحار!.

١٩ - إن صلاة الليل والقيام في الأسحار، لا تنفك عن الولي، وخاصة في شهر رمضان: «**كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُحِبُّنِي فَإِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ نَامَ عَنِّي أَلَيْسَ كُلُّ مُحِبٍّ يُحِبُّ خَلْوَةَ حَبِيبِهِ**»[4]، ولكن نلاحظ أن بعض الصائمين يستيقظ وقت السحر؛ ليأكل طعاماً يعينه على صيام نهاره، ولا يقوم قياماً يعينه على سفر آخرته! والمرأة تعطي من وقتها الساعات الطوال؛ لتعد طعاما لبدن غيرها، ولكنها تغفل عن طعام لروحها.

٢٠ - إن قيام السحر فيه من البركات ما لا يعلمها إلا الله تعالى، ومن المشاهَد أن أصحاب الليل وجوههم مشرقة ومنيرة ومن أجمل الوجوه، ولا نعني بذلك الجمال الظاهري الزائل، وإنما ذلك الجمال الذي فيه

١) إقبال الأعمال، ج٢، ص٨٧.
٢) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٨٠.
٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.
٤) الأمالي (للصدوق)، ص٣٥٦.

مسحة إلهية، والسبب في ذلك أنهم خلوا بالله تعالى في جوف الليل؛ فألبسهم من نوره.

٢١ - من نِعم الله تعالى على بعض عباده، أنه يستيقظ لقيام الليل من تلقاء نفسه وحتى لو كان مرهقاً وقد سهر ليله وكأنّ هناك ملَكاً يوقظه، ولكن ينبغي للمؤمن أن يسأل ربه - كما أنه يوقظه بجسمه - أن ينبهه لبركات أسحاره، لتنكشف له الحجب المانعة من القرب! وإلا فإن أولياء الله تعالى ما الذي يجعلهم ينتظرون قدوم الليل بشوق، ويتركون لذيذ النوم؟! ومن المعلوم أن السبب في ذلك ما يرونه ويسمعونه من بركات الأسحار! حتى إن أحدهم كان ينادي ويصيح: أين الملوك وأبناء الملوك من هذه اللذة؟!.

٢٢ - إن الإنسان في شؤونه الحياتية كم يتحير ويتخبط يميناً وشمالاً كالأعمى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[١]؟!، ولكن الذي يداوم على قيام الليل، سيُعطى هذا النور الإلهي: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[٢]!.. وبما أن الأعضاء كلها تشارك في صلاة الليل، فإنها تستنير أيضاً بنورها؛ فيرى بعين الله، ويسمع بسمع الله، ويتكلم بلسان الله، ويبطش بيد الله، ويحدس فيصيب حدسه، وورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «**اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ، فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالى:** ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾»[٣] أي: للمعتبرين والمتفرسين.

٢٣ - لو أن إنساناً لا طعام له في النهار أبداً، ومصدر طعامه الوحيد هو باب الملك، وهذا الباب لا يفتح إلا في ساعات معينة من أول النهار، ألا يحرص هذا الإنسان على أن يأخذ إناءه ويقف على باب الملك، وهو يعلم أنه لو حرم الرزق في تلك الساعة، فإنه سوف لن يُعوّض لاحقاً وسيبقى

---

١) سورة النور، الآية: ٤٠.
٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.
٣) الكافي، ج١، ص٥٤١.

جائعاً؟! وتطبيقاً لذلك نقول: إن الروايات تؤكد على أن نستيقظ بين الطلوعين، وأنه أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض؛ لأن الله تعالى - في هذه الساعة - يقسم الأرزاق المادية والمعنوية معاً. ولكن طالما حُرمنا بعض البركات بسبب تفويت هذه الفرصة.

٢٤ - إن لكل يوم بركته ونوره؛ فينبغي على المؤمن أن يحوز من أول النهار على أكبر بركة من بركات ذلك اليوم، وخاصة من صلاة الليل والجلوس بين الطلوعين، إذ إن لهما أثراً في بركات النهار. وعن الرضا عليه السلام: **«أَوْحَى اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَى نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ: إِذَا أُطِعْتُ رَضِيتُ، وَ إِذَا رَضِيتُ بَارَكْتُ، وَ لَيْسَ لِبَرَكَتِي نِهَايَةٌ. وَ إِذَا عُصِيتُ غَضِبْتُ، وَ إِذَا غَضِبْتُ لَعَنْتُ، وَ لَعْنَتِي تَبْلُغُ السَّابِعَ مِنَ الْوَرَى»**[1].

وعليه ينبغي للمؤمن في أول النهار أن يطلب من الله تعالى بركات ذلك اليوم، المقدّرة منها وغير المقدّرة، فإنه بالدعاء تكتب هذه البركات له. كما قد ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إِنَّ الرِّزْقَ لَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ عَلَى عَدَدِ قَطْرِ الْمَطَرِ، إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُدِّرَ لَهَا، وَ لَكِنْ لِلهِ فُضُولٌ فَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ»**[2].

٢٥ - نلاحظ في ليلة القدر الكبرى، حالة من الاستنفار لدى أغلب المؤمنين، حيث الرحمة الغامرة، ولكن الفخر كل الفخر بعد ليلة القدر، من جهة حفظ المكتسبات في تلك الليلة! فلو أن شجرة تعاني من الجفاف طوال العام، ولا يسقيها صاحبها إلا ليلة واحدة، فهل يغيّر ذلك ما تعيشه من حالة الجفاف الدائم؟ والحال أن بعض الأشجار الباسقة تعيش على قطرات قليلة ولكنها دائمة. فلا ينبغي للمؤمن أن يغتر بما يتحقق له من التوفيق العبادي في ليلة القدر مهما كان! بل عليه

---

١) الكافي، ج٣، ص٦٨١.
٢) وسائل الشيعة، ج٧، ص١٢١.

أن يحاول طوال العام أن يستقي قطرة قطرة من بحر العبادة والمناجاة بين يدي الله تعالى لتنمو شجرته الباطنية.

٢٦ - إن درجة التفاعل في الصلاة والمناجاة، تكشف عن علاقة العبد بربه، فلا داعي لمعرفة ذلك أن يطلب مناماً أو مكاشفة، أو سؤالاً من أحد الصالحين أو غيره، فلو أن العبد رأى فتوراً في علاقته مع الله تعالى، فليعلم أن هناك فتوراً من جهته تعالى أيضاً؛ فإن للعبد عند الله تعالى ما لله تعالى عنده!. وكما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ﴾[1]، فإن الله تعالى هو الذي يُقبل على العبد، فيُقبل العبد عليه. وعليه لو رأى العبد عدم إقبال في الصلاة والمناجاة، فليعلم أن هذا الأمر كاشف عن إدبار من الله تعالى عنه، ويا له من إدبار قاتل!

٢٧ - من الممكن أن يستثمر المصلي عدم خشوعه في الصلاة مقدمة للتضرع بين يديه تعالى، فلو أن مريضاً ذهب إلى طبيب معالج فإنه ما يلبث أن يشكو له ما يعانيه، باكياً مرة ومستغيثاً أخرى. إن رب العالمين هو خالق القلوب، والمتصرف فيها كيفما شاء. فينبغي للمؤمن الذي يشكو من حالة الإدبار أن يسارع في التضرع والبكاء؛ ليرفع عنه هذه الحالة، ومن الممكن أن يرزق عندئذ حالة شديدة من الإقبال.

٢٨ - إن شهر رمضان شهر الضيافة الإلهية، والمضيف فيه له إكرام عام لجميع خلقه، ولكنه يختار بعض الخواص من بين عباده الذين يترقبون في كل لحظة شيئاً من نواله، فيخصهم بعنايته، ولهذا يقال بأن ليلة العيد أو الليلة الأخيرة من شهر رمضان - كمحطة متميزة فيها - هي ليلة العتق من النار. فينبغي للمؤمن أن يستغل اللحظات والساعات الأخيرة من الضيافة؛ ليكون ممن تشملهم تلك العناية الخاصة.

٢٩ - من الملاحظ تحقق شيء من حالة الإدبار بعد ليالي القدر، وكأنه

---

١) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

قد انتهى كل شيء بعدما كتبت المقدرات! ومن المعلوم أن الدعاء يرد البلاء، وقد أبرم إبراماً ولو في ليلة القدر. ولكن طبيعة الإنسان مبتنية على النسيان، والإعراض عن ذكر الله سبحانه وتعالى. ولهذا فإن الذين يواصلون استجداءهم من الله تعالى في الليالي الأخيرة من شهر رمضان هم من القلاقل وهم بلا ريب في مظان الرحمة الخاصة، التي لم توهب لعوام الخلق.

٣٠ - إن العبد لا يتخذ المسجد محلاً للعبادة فحسب، بل يتخذه ملجأ وكهفاً حصيناً يقصده كلما ضاقت به الدنيا، فمن موجبات قضاء الحاجة هو اللجوء إلى بيت من بيوت الله تعالى، والصلاة فيها بركعتين خاشعتين والتجاء بين يديه عز وجل؛ فالمسجد بقعة منتسبة إلى الله تعالى، والذي دخل المسجد لطلب الأمان، فقد دخل حمى الله تعالى. ومن المتعارف أن من يلتجئ إلى سفارة منتسبة إلى بلد، فإنه يعطى الأمان، فكيف بمن يلتجئ إلى بقعة منتسبة لله سبحانه وتعالى؟!

٣١ - إن النوافل فيها تحرر من كل قيد، فيمكن أن يؤديها العبد على أي حال: جالساً أو ماشياً أو راكباً، ولهذا قد يكون التركيز والإقبال في النافلة أكثر من الفريضة، حيث العبد لا يعيش هاجس بطلان العبادة، وعدم الإتيان بالمأمور به بقيوده الفقهية الدقيقة، بل يصلي وملؤه الحب والعشق لله تعالى. ولهذا فإن أهل الوسواس يوسوسون عادة في الواجبات؛ لأنه في المستحبات ليس هنالك أمراً إلزامياً يخشون الإخلال به.

٣٢ - إن التوفيق للنوافل فيه كاشفية عن الالتفات والنظر من الله تعالى لعبده. ومن الأمور الكاشفة عن درجة القلب سلباً وإيجاباً، هي حالة العبد وهو في المسجد، فإذا كان يحب إطالة المكوث في المسجد، للصلاة والدعاء، فليعلم بأن هذا من صور التوفيق، وأن الله تعالى قد أحبه، فأحب مكوثه في بيته أيضاً.

٣٣ - إن التوفيق لكل عبادة، إنما هو بإذن الله تعالى، فقد يصرف الله تعالى العبد عن الطاعة، خذلاناً له؛ لأنه يكره تقربه، وسماع صوته!. وقد يصرف القلب عن المعصية أيضاً توفيقاً لصاحبه؛ لأنه يحب أن يشمله برحمته وعنايته الخاصة.

٣٤ - إن الذي يحرص على أداء النوافل، فإن الله تعالى من الممكن أن يتجاوز بذلك عن كثير من الأخطاء التي ارتكبها في أداء الفريضة، إكراماً له؛ لأنه التزم بما لم يُلزمه الشارع. ومن هنا كانت النوافل متممة للنقص في الفرائض.

٣٥ - إن الذي لا يعيش الهدفية من العبادة، فإنها تكون له كالقيود التي تحد من انغماسه في مستنقع الأهواء والشهوات، ولهذا فهو يفرح عند الانتهاء منها كفرح البعض بانتهاء موسم الصيام؛ لثقل الجوع والعطش على نفسه!

٣٦ - إن الذي لا يجد في نفسه الثمار المرجوة مما يقوم به من العبادات من التكامل الباطني، عليه أن يبحث عن الأسباب! فلو أن إنساناً تعهد شجرة بالسقي والرعاية سنة كاملة، ثم لم يجد تغيراً في نموها؛ فإنه لن يتردد لحظة في قطعها والتخلص منها، فكيف لو ضمرت وذبلت أوراقها وأغصانها؟!

٣٧ - إن المؤمن - بعبادته وعمله للصالحات في كل يوم - يواصل قطعه للمسافات، فيزداد قربه من الهدف الذي خُلق من أجله، ويجد آثار هذه الحركة من: استقذار الحرام، والخشية والمعرفة والحب العميق لله تعالى. ومن هنا نقول: إنه لا بدّ من أن نستثمر طاقاتنا الباطنية وقدراتنا الخفية التي اكتشفناها في مواسم العبادة، ونحولها إلى وقود يدفعنا للمسير في حركتنا التكاملية.

٣٨ - إن الذي لا يصل إلى مرحلة الغفران الإلهي في شهر رمضان، فهل

يرجو ذلك في غيره من الشهور، وقد كان في ضيافة السلطان وقد طرده من مائدته وخرج من عنده جائعاً أوهل يرجو الشبع عند غيره؟

٣٩ - كما أن أشهر الإنبات في عالم النبات هي أشهر الربيع الثلاثة؛ فالأمر كذلك في عالم الأرواح، فربيعها هي هذه الأشهر الثلاثة المباركة: رجب، وشعبان، ورمضان؛ من حيث كثرة ما ورد فيها من الأذكار والأوراد؛ فتؤثر في النفس تأثير الربيع في الإنبات.

٤٠ - إن المؤمن يستعد لاستقبال الضيافة الإلهية الكبرى في شهر رمضان من شهر رجب، فيستثمر أوقاته أيما استثمار؛ ليظفر بأمنية الأماني، ألا وهو الرضوان الإلهي، فهو لا يقنع بمجرد المغفرة والخروج من دائرة المقت الإلهي فحسب، فتلك أمنية الضعاف وأصحاب الهمم الدانية.

٤١ - إن إخراج المقدار الواجب من المال لا يعد في حد ذاته جوداً، بل هو حق الله ورسوله أخرجه صاحبه، ومع ذلك فهو من موجبات المغفرة والرضوان والبركة في المال، والتخلص من البلاءات المفاجئة من المرض والموت.

٤٢ - إن البعض يعتقد خطأ أن بإمكانه تهذيب نفسه أو غيره، بمجرد تكرار بعض الأذكار والأوراد، ويهمل جانب الاكتساب النظري والمجاهدة العملية، والحال أنهما الأساس في عملية التكامل؛ فكمال الباطن لا يتحقق من مجرد ألفاظ في الخارج!

٤٣ - إن البعض يستهويه الجانب العبادي بدون أن يحوّل ذلك إلى حركة في الحياة، والبعض تستهويه الحركة العملية المجردة من أي خلفية علمية، فلا بدّ أن تكون التنمية شاملة ومتوازنة في كل المجالات، وإلا فإن الذي ينمّي جانباً دون آخر، فإنه كمن ينمو خَلقياً نمواً غير متوازن.

٤٤ - إن السجود التعبدي ليس مجرد هذه الحركة الظاهرية من وضع المساجد السبعة على الأرض، وإنما هي حالة من التذلل والتواضع للرب العظيم، ولهذا لم يختر الله تعالى غير هذه الحركة إبرازاً لعظمة آدم عليه السلام. وإن المؤمن الذي يتذوق حلاوة السجود يصبح مدمناً عليه ولا يشبع منه ولو كان مشغولاً به في ساعات طويلة!

٤٥ - إن الدعاء حديث العبد الذليل مع الرب العظيم، واعتقادنا أنه ليس هنالك مجموعة دعائية في تراث الإنسانية مثل الصحيفة السجادية، ولعل هذا الخلود لأدعية مولانا السجاد عليه السلام نوع تعويض لما جرى عليه من المصائب العظام في واقعة عاشوراء.

٤٦ - لو أن أحدنا مارس عملاً، تراه يزداد فيه يوماً بعد يوم خبرة ومهارة وإتقاناً، ولكن ما بال صلواتنا لم تتغير منذ اليوم الأول من البلوغ، لا إجزاءً ظاهرياً، ولا إقبالاً باطنيا؟! والسبب معلوم حيث إننا لم نرد أن نطورها للأحسن بينما طورنا باقي شؤوننا في الحياة على ما يطابق المزاج.

٤٧ - إن المؤمن يعيش حالة الاستقرار، لاتصاله بمبدأ الغيب في كل التقلبات والأحوال، وما أنس الإنسان بوسائل الاتصال المتنقلة إلا لأنها تربطه بمن يأنس به أينما ذهب، فلنحاول أن نتصل بمبدأ الغيب كلما ضاقت بنا الأحوال واجتمعت علينا الأحزان، كأئمتنا عليهم السلام، حيث كانوا يفزعون إلى الصلاة بين يدي الله تعالى، كلما أهمهم أمر. ومن المعلوم أن المؤمن في هذه المشاهد - بالإضافة إلى تمتعه بسياحة بدنية - يعيش سياحة روحية وأجواء قدسية، مناجاة وصلاة وتلاوة للقرآن.

٤٨ - إن الله تعالى قد يُرسل عليك نفحات من اليقظة والذكر في ليلة جمعة، أو في مواسم الطاعة، ولكنك إذا لم تستوعب هذه النفحات وتستثمرها، وتخرج من حالة الغفلة المطبقة إلى حالة الذكر ولو المتقطعة، فقد تصاب بحالة خطيرة من قسوة القلب، فتكون ممن

ختم الله تعالى على قلوبهم، وحرمهم من دائرة الانجذاب إليه!

٤٩ - من الجميل أن يلتزم المؤمن بهذا الذكر الخفي، ألا وهو التهليل، وبإمكانه أن يذكره في قلبه عندما يكون في جمع من الناس الغافلين، فطبيعة حروف هذا الذكر لا تستدعي فتح فمه، وبذلك يعيش مع الناس ببدنه وروحه معلقة بالملأ الأعلى!

٥٠ - إن البعض - لطبيعة حياته وانشغالاته الكثيرة - لا يمكنه التوجه لربه، فليتخذ من الصلاة مجالاً للتنفس؛ ليستنشق شيئاً من الرحيق، بعد غوص عميق في بحر الانشغالات اليومية كاد ينقطع فيه نفسه الباطني!

٥١ - هناك من تكون له بعض النفحات في أيام دهره، ولكن هنالك صنفاً من الناس كلما وقف للصلاة، أو قرأ الدعاء، أو كلمات من القرآن الكريم، جرت دموعه على خديه من دون تكلّف، ولا يخفى أن ذلك ثمرة المجاهدات الطويلة.

٥٢ - إن المؤمن عندما يدفع خمس أمواله ولو بلغت الكثير، فعليه أن لا يعيش ذرة من العجب والرياء، إذ إن من الطبيعي أن لا يمنُّ العبد على مولاه لو طالبه بما افترضه عليه من الحق الواجب، والحال أنه وما يملك ملك لله تعالى. وعليه فإن الذي يعتقد بأنه مستخلَف على المال، يقل حرصه عليه ويؤدي ما عليه من الحقوق بكل طواعية.

٥٣ - إن العبادة لا تؤتي ثمارها مع الشخصية المضطربة القلقة، فهذا إبليس لم ينتفع بعبادته؛ لأنه كان يستبطن بذور الشر والاستكبار في نفسه. وعليه فإن العبادة لا تنفع صاحبها إلا إذا حسُن باطنه، واستقامت سريرته، وامتلك الشخصية المتوازنة المتكاملة، بل إنه - إذا حقق ذلك - يكفيه قليل الصلاة والصيام.

٥٤ - إن البعض قد تغلغل القرآن الكريم في وجوده، إلى درجة

يتجاوز عند تلاوته الإدراك الفكري إلى الخشوع القلبي، وينعكس ذلك على حواسه من قشعريرة الجلد وجريان الدمع، أما الذي لا يجد ذلك التفاعل فهو بعيد عن روح القرآن الكريم، مثلُه مثل الذي لا تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر؛ لأنه بعيد عن روح الصلاة.

٥٥- لو أن الإنسان نجح في السيطرة على الأفكار، فقد دخل باباً واسعاً من أبواب السعادة في الدنيا قبل الآخرة، فإنه بإمكانه أن يؤدي الصلاة بتوجه وتركيز في جميع الأحوال. ومن المعلوم أن الصلاة الخاشعة تبدأ من الصلاة المتأملة، فالذي لا يملك فكره في الصلاة، فكيف يملك قلبه فيها؟!

٥٦- إن الذي يريد أن يصلي صلاة خاشعة عليه أن يتهيأ للصلاة، ويفرّغ باطنه من كل مشغل ذهني أو قلبي، وإلا فالذي يصلي وذهنه مشغول بكم هائل من الصور - وقد تكون صوراً محرمة - فإنها تأتيه بشكل قهري، فيصلي وفكره يتجول فيما كان مشغولا به قبل الصلاة!

٥٧- إن المؤمن إذا أتيحت له فرصة - ولو قصيرة - لمعايشة حالة الإنقطاع إلى ربّ العالمين، وتلمّس شيء من عالم التجلي الإلهي، فإنه يستذوق ذلك العالم استذواقاً، بحيث يتمنى أن لا يقوم من سجدته، بل يشتاق إلى أوقات الصلاة إشتياقا؛ فيتغير نمط حياته رأساً على عقب، وهنيئاً لمن كان كذلك!

٥٨- إذا أردنا أن نعالج انحرافاً سلوكياً عند أحد فعلينا أن نعالج سلوكه الباطني؛ لأنه على أساسه يتقرر سلوكه الخارجي سواء في مجال الحلال أو الحرام. فالجهاد - الذي فيه إلقاء للنفس في أتون المعارك - أساسه حب إعلاء كلمة الدين وبغض الكفر والكافرين، والصلاة الخاشعة منشؤها الإقبال النفسي على الله تعالى، وكذلك فالانحرافات الأخلاقية منشؤها انحراف محور القلب نحو الحرام أو

العشق المذموم. فهذه الممارسات الخارجية لها رصيد في الباطن، فإذا أردنا أن نرفع من مستوى الطاعة وتجنب المعصية، فلا بدّ أن نصلح هذا الباطن، أو نصعّد من رصيده.



همسات في
العلاقة مع النفس

١ - إن المؤمن مع يقينه بسعة رحمة ربه ومغفرته، إلا أن حالة مقت نفسه واحتقار عمله لا تفارقه، وذلك كلما تذكّر ذنوبه السابقة! مثَله في ذلك كمثَل ولد عاق أعرض يوماً ما عن لقاء والد شفيق تحمّل عناء السفر شوقاً الى رؤيته. فهذا الوالد وإن عفا عن ولده لاستخفافه بحقه، إلا أن الولد يعيش حرقة القلب والانكسار كلما تذكر ذلك الموقف القبيح!

٢ - إن إرادة النفس إذا اندكّت في إرادة الغيب فقد حققت معنى الفناء، لا الفناء بمعنى وحدة الوجود، وإنما بمعنى أن الإنسان لا يرى لنفسه خصوصية في قبال ذلك الوجود الذي غمر نوره كل شيء، بما جعله لا يرى شيئاً سواه تعالى، وهو تجسيد لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[١].

٣ - قد يقال: إن المعصية التي تكون في حالات غلبة الشهوة أقرب للمغفرة الإلهية، من تلك التي تكون في حالات اشتداد الغضب؛ وذلك لأن الغاضب مهما اشتد به الغضب وأخرجه عن طوره، إلا أنه لا يزال في وعيه، غير خارج عن قصده لما يقول ويفعل، بخلاف الشهوة الغالبة التي قد تُفقِد الإنسان قدرته على السيطرة على جوارحه.

١) سورة القصص، الآية: ٨٨.

٤ - إن من موجبات الخذلان الإلهي: هو البعد عن مجالس العلماء. ولا يقتصر ذلك على الحضور بالمعنى الخاص، بل هو معنى عام يشمل كل ما له تأثير في تغيير مسيرة الإنسان العلمية والعملية، والمتمثل بمصادر المعرفة المسموعة والمرئية والمقروءة.

٥ - إن الإنسان قد ينظر في خصوصيات نفسه و خصوصيات غيره، ولكنه قد يصل إلى درجة لا يرى في الوجود إلا ذلك الجميل، وذلك إذا اتصل بمنبع النور في هذا الوجود، فعندها تنمحي في قلبه كل تلك الخصوصيات، ويصبح وجوده - أي: قلبه وفكره وجوارحه - محاطاً بذلك النور، وهذا هو ما يعبر عنه بالفناء في الله تعالى، كفناء النور في النار وإن كانا متغايرين في الحقيقة.

٦ - إن الكثيرين يشتكون من حالة الإثارة والغضب عند وجود ما يكدّر مزاجهم، وهذا بدوره يؤدي إلى الوقوع في المحرمات القولية والفعلية، بل إن هذه الحالة من أنسب الأوقات لنفوذ الشيطان إلى قلب العبد. وعليه لا بد من مضاعفة المراقبة في مثل هذه الحالة، التي طالما أورثت الندامة حيث لا ينفع الندم.

٧ - تتجلّى نعم الخالق في كل لحظة وحين، ومنها ما وعد به أولئك الذين عملوا السوء بجهالة واعترفوا بذنوبهم، فقد وعدهم تعالى بالرحمة والمغفرة[١]. فهل نحن كذلك مع من أساء إلينا ثم اعتذر؟ بل إننا مأمورون بالصفح الجميل، وهو أن نعامل المخطئ وكأنه لم يخطئ في حقنا أبداً، خصوصاً وإن المؤمن في شغل، وعليه أن يبدي صفحته بأن لا يلتفت لمن أساء إليه، بل عينه على الساعة وما يعدّه لمواقف القيامة، ولهذا قرن الصفح بالقيامة: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[٢].

---

١) ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾. سورة النساء، الآية:١٧.

٢) سورة الحجر، الآية: ٨٥.

٨ - إن ترقي النفس وتكاملها لا يتم إلا من خلال التعرف عليها واكتشاف مجاهيلها، والاطلاع على سبل تكاملها، والعلم بقدراتها الفعلية، وقدراتها المختزنة. فكيف يمكن أن يعالج الطبيب بدناً ليس أمامه؟! أم كيف يمكن لمهندس أن يبني بناء على أرض لم يرها ولا يعرف طبيعتها؟!

٩ - إن مثَل التفكير في الحرام كمثل الدخان الذي يسوّد المكان وإن لم يحرقه. فحاول أن تنقّي فكرك من كل قبيح: تفكيراً في شهوة، أو حباً في انتقام. أَليس هو المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟ فإن هذا الإحساس اليقيني بعلمه تعالى بخفايا النفس، لهو نعم الرادع عن الحرام بل عن الاقتراب منه.

١٠ - إن البعض تسوّل له نفسه الانغماس في متع الدنيا في مرحلة الشباب، وإنه سوف يتدارك تقصيره في دنياه عند شيخوخته، والحال أن مرحلة الشباب تمثل أوج قدرة الانسان على إنجاز المهام من أموره، حيث أنه كلما تقدم في العمر قلّت قدراته. ومن العجيب أنه عندما كان يتمتع بقوة البدن، فإنه كان يستهلكها في غير ما يعود عليه بنفع لآخرته، والآن عند كبره تتوالى عليه العلل المانعة من الوصول إلى ما يريد!

١١ - إذا كان الإنسان حريصاً كل الحرص على مشتهياته: مأكولاً ومركوباً وملبوساً وغير ذلك، وكلها عناصر فانية في الوجود، فلماذا لا يكون حريصاً على روحه التي هي مصدر الشقاء والسعادة الأبدية له؟! أليس من الأولى أن يتخير لها ما يكون سبيلاً لرفعها إلى رتب الكمال، لا ما يحطها إلى الحضيض؟!

١٢ - من الخسران أن يضيّع الإنسان ما بقي من عمره تحسّراً وندماً على ذنوبه السابقة؛ لأن ما مضى لا يعود. إنما المطلوب هي الندامة الفاعلة التي تدفع الإنسان إلى الأمام، ثم إن رحمة الله واسعة، وخاصة إذا كان ارتكاب الذنوب في مرحلة الجهالة وغلبه الشقوة.

١٣ - إن البعض يخادع نفسه كثيراً ليخوض في المحرمات، فيسوّل الحرام لنفسه ويخلق الأعذار لها، ولكن هل من يلاعب الثعبان يسلم من لدغته؟ فالشهوات المحرمة سموم قاتلة عاقبتها الهلاك، وشتان بين من يرتقى بنفسه بالمجاهدة عقلاً وعلماً، وبين من يتعمّد تأجيج نار الشهوات في نفسه، بحيث يصبح أسيراً لشهواته وغرائزه!

١٤ - إن الإنسان مسؤول يوم القيامة عن هذا الوقت المُهدر من عمره، وسيحاسب على كل لحظة ضيعها فيما لا نفع فيه، فضلا عن ارتكابه للحرام. وليُعلم أن العذاب المشترك لجميع أهل البرزخ: هو الإحساس بالغبن والندامة لسالف أيامهم في الحياة الدنيا، حيث فوّتوا على أنفسهم الفرص الذهبية فيها.

١٥ - ينبغي لمن يرغب في تحقيق الكمال التحلي بالصبر وعدم اليأس، فإن الامتيازات قد تُجمع وتُعطى للعبد دفعة واحدة. وذلك كمثل جندي تُجمع له الدرجات في سنوات خدمته؛ فيعطيه قائده الأوسمة دفعة واحدة، بما لا يتوقعه منه.

١٦ - إن من يتحرر من أسر اللذائذ تعرج روحه في أفق ممتد، وإلا فإنها تبقى كالطير الحبيس في القفص. ومن المعلوم أن الطير في القفص محروم من بركات أقرانه ممن يطير في الآفاق الرحبة. وهكذا فإن تصور هذه الحالة من السجن والحبس في الحياة الدنيا، لمن موجبات التحرر من الأسر المذكور.

١٧ - إن البلاء يوجب التكامل للعبد الملتفت إلى زي العبودية، وليس لكل أحد، بل إنه لا يزيد البعض إلا خساراً. فمثَل البلاء كمثَل القرآن من هذه الناحية، فهو موجب لزيادة الهداية للبعض، كما أنه موجب للخسران والضلال للبعض الآخر.

١٨ - إن الذي لا يراقب نفسه، سوف يفقد ذلك النور المكتسب من

العبادات والأعمال الصالحة. فكما أن المسرف في الأموال يُذمّ على إسرافه، كذلك المسرف في الأنوار مذموم أيضاً؛ لأنه يبذّر ما اكتسبه من نور بعد جهد جهيد، بل إن ذمّه أكثر؛ لأن خسارته أعظم.

١٩ - إن العمل الصالح من مقتضيات التكامل لو رُفِعت الموانع ووُجِدت الشرائط، وما أكثر الأعمال الصالحة في حياة المؤمن، ولكن لماذا لا نرى ذلك الأثر المميز في باطنه؟ والحال أننا نرى كيف أن البذرة الصغيرة - بعد فترة من تعهدها بالسقي والرعاية - تنمو حتى تغدو شجرة باسقة؟ والجواب: أن موجبات التغيير والانقلاب الباطني في وجوده لم تكتمل بكل عناصرها اللازمة.

٢٠ - ينبغي للمؤمن إذا أُعطي شيئاً من المزايا المعنوية أن لا يتغيرتعامله مع الخلق، ركوناً إلى تميزه عنهم. كما ينبغي كتمان ما أُعطي من المزايا، فما الفائدة من إذاعتها بين الناس واشتهاره بينهم بالصلاح؟! نعم لو رأى عالماً ربانياً خبيراً في طريق السلوك إلى الحق، فإنه يرجح أن يذكر له حاله، رجاء التماس نصحه وإرشاده، ولِيتعلّم كيف يصل إلى مرحلة أرقى مما هو فيها.

٢١ - إن من بواعث الهمة أن يفكر الإنسان في الأبديّة، فيبرمج لأن تكون هذه الأبديّة أفضل أبديّة ممكنة. ومن المعلوم أن هذه الأبديّة - بخيرها وشرها - لا تتحدد إلا من خلال هذه السنوات المحدودة، ويا لها من معادلة مذهلة، أي: مقابلة الزمان اللامحدود بالمحدود!

٢٢ - لو أتى أحدهم لك بقدح فيه أرقى أنواع العسل، وإذا بك ترى فيه فأرة ألقت عذرتها، فهل تميل نفسك للأكل منه؟! فنقول قياساً على هذا: إن البعض ليس مقصراً في جمع العسل وله نحل كثير، ولكنه في كل يوم يرمي عذرة في عسله، فهل يستفيد من هذا العسل الذي هو في الأصل شفاء للناس؟!

٢٣ - إن الذي يتأمل في نفسه ويعيش حالة التبرم وعدم الرضا من الواقع الذي يعيشه، فإنه يُرجى له أن يتحرك ويبدأ في السفر إلى الله تعالى. فمثله كإنسان خُدّر وخُطف ولمّا استفاق ورأى نفسه بين يدي الأعداء يحيطون به من كل جانب، فأخذ يسعى لتخليص نفسه ويبادر بالفرار بما أمكنه من جهد حتى يصل إلى مأمنه، وهذا هو الفرار الصادق الذي أُمرنا به في قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾[1].

٢٤ - إن الذي يُعطى بعض المنح الروحية، ثم يرتكب ما يغضب الله تعالى، فإنه يعرّض نفسه لانتكاسات روحية خطيرة، فيُصاب بإدبار شديد، وهذا هو الإدبار المتعارف تحققه بعد المواسم العبادية. فالإنسان الذي لا يراعي ما يُعطاه من نور الإقبال فإنه قد يُسلب منه ذلك بزلّة ولو غير كبيرة، ممّا يضيّع عليه جهداً كبيراً. فهذا النور نور لطيف وعزيز لا يعطى لكل أحد، وإذا رُفع عن أحد بتقصيره فلا تسهل عودته من جديد.

٢٥ - إن القلب السليم هو محل التجلّيات الإلهية، فإن رب العالمين يتجلّى فيه. ومثَله كمثَل المرآة التي تعكس صور الأشياء المواجهة لها، ومن المعلوم أنه كلما ازداد صفاء المرآة ونقاؤها من الغبار والصدأ، كان انعكاس الأشياء فيها أشد وضوحاً. وعليه فلو وضعت مرآة أمام الشمس لانعكست صورة تلك الشمس العظيمة من خلال هذه المرآة الصغيرة، وأصبحت تحمل بعض خواصها فتعكس شيئاً من نورها العظيم. وحينئذ نقول: إذا كان التفاعل متحققاً بين وجودين ماديين كالشمس والمرآة، فكيف بالنفوس البشرية المظلمة إذا واجهت شمس الوجود العظمى؟!

٢٦ - لو التفت الإنسان إلى تركيبة نفسه، لاكتشف و كأنّ هنالك طفلاً في وجوده يدعوه إلى الأباطيل، فترى أحدهم في ظاهره إنساناً ذا

١) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.

شخصية مرموقة بين أقرانه إلا أن واقعه شيء آخر، فلو نازعته نفسه إلى قطعة حلوى أو وجبة طعام شهي، فإنه قد يقطع المسافات من أجلها، وقد يحزن إذا مُنع منها. وعليه فلا بدّ للعبد الملتفت أن يحاول تهذيب نفسه وتربيتها، حتى ترتقي إلى مستوى البلوغ والرشد الباطني، بحيث لا يرى متاع الدنيا بهيجاً في عينه.

٢٧ - إن من أعظم المزالق في هذا العصر هو الافتتان بوجوه الفاتنات، إلى درجة يبيع بعضهم دينه ودنياه من أجل الوصول إلى ما يحقق شهوته. ولنا أن نتساءل: هل إن ما يرونه من هذه الصور الحسان هو غاية ما عند الله تعالى من وجوه الجمال؟ ولماذا لا يتوجه هذا العاشق للجمال إلى مصدر الجمال؟ أليس التعلق بالمصدر الباقي أنفع من التعلق بالفاني؟ ولماذا لا ينتقل من جمال المخلوق إلى جمال الخالق؟ ولماذا لا ينتقل من جمال المعلول إلى جمال العلة؟ ولماذا لا ينتقل من جمال المُصوَّر إلى جمال المُصوِّر؟!

٢٨ - إن مجرد وجود المقتضي لا يكفي لتحقق الأثر، فهناك شروط لا بدّ من توفرها، وموانع لا بدّ من رفعها، فلو أن الزارع - الذي يريد أن يرى ثمرة جهده يوماً ما - اكتفى بوضع بذرة في تربة غير مناسبة، فهل يُرجى أن يتحقق له ما يريد؟ والحال أنه لا بدّ من تخيّر التربة المناسبة أولاً، و يوفّر لها الظروف المهيئة للنمو بعد أن يبذرها ثانياً، ويزيل ما يضر بالزرع ثالثاً. وكذلك الأمر في عالم التكامل الروحي، فإن المقتضيات كثيرة في حياة المؤمن ولكننا لا نرى أثراً لها، والسبب أنه يلزم تهيئة أرضيّة النفس لتكون قابلة للإنماء أولاً، وذلك بإزالة الشوائب والعوالق، ثم نبادر بزرع الصالحات ثانياً، ومن المعلوم أنه كلما تكرر العمل الصالح نما ذلك الزرع وتجذّر، وهكذا يتحقق الإنماء والتكامل.

٢٩ - إن من يريد التكامل عليه أن يقدّم قرباناً في سبيل الله تعالى،

وأفضل قربان يقدّمه العبد لربه هو أن يجعل إرادته مُندكة في إرادة الله تعالى، أي: لا يرى لنفسه اختياراً، أمراً ونهياً، ولا يكون له منهج في الحياة سوى المنهج الرباني. فليس هو إلا عبد مملوك لله تعالى، أعطاه ما يمكّنه من قضاء حوائجه به، وسمح له باستعماله بقيود، وليس له أن يستعمله فيما منعه منه.

٣٠- إن طبيعة الإنسان ميّالة إلى الغفلة واللهو في الرخاء، فلا يدعو ربه إلا إذا كان في شدّة، والحال أن الدعاء قبل نزول المصيبة أبلغ في دفعه، كما قال أمير المؤمنينعليه السلام: «**ادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ عَنْكُمْ بِالدُّعَاءِ قَبْلَ وُرُودِ الْبَلَاءِ**»[1]؛ فالبلاء متوقع لكل لإنسان طوال عمره، والخوف من أن تأتيه أمواج عاتية فتغرقه، وإذا به ينتكس انتكاسة بليغة؛ فيُسلب حتى الدعاء وهو أحوج ما يكون إليه في تلك الحالة!

٣١- إن الإنسان في عالم الأبدان يتكامل وينتقل من مرحلة إلى أخرى، وذلك بشكل قهري وطبيعي إلى أن يلقى الربّ الكريم، ولكن يختلف الأمر في عالم الأرواح، حيث أن الحركة التكاملية اختيارية، والذي لا يتحرك ولا يبذل جهده سعياً لتحقيق تكامل روحه، فإن وضعه لن يتغير وسيبقى ثابتاً، فهو وإن كان في ظاهره إنساناً بالغاً راشداً، ولكنّه يبقى في الواقع طفلاً صغيراً!

٣٢- إن أشعة الشمس تسطع على كل شيء، ولكنها لا تصل إلا لما يتعرض لها وليس عليه ساتر، ولا يعني عدم وصول أشعتها إلى ما هو محجوب عنها أن هناك خللاً في فاعليتها، فلو أزلنا الحجاب لسطعت عليه الشمس. وكذلك فإن الشمس الإلهية ساطعة، ولكن علينا أن نعرّض أنفسنا لها، بإزالة الحجب والموانع الساترة. وإن الذي يترقى روحياً سيُعطى تلك المقامات العالية - بعد تعرّضه لتلك الأشعة المنيرة - وإن لم

---

١) الخصال (للصدوق)، ص٦٢١.

يطلب من الله تعالى ذلك صريحا.

٣٣- كم من الآيات التي وردت في الحثّ على التوبة وبعث الأمل في نفوس العاصين، إلا أن هذه الآية من الآيات المؤمّلة كثيراً وهي: ﴿فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[١]. فيا له من مكسب عظيم وهو تَبدّل السيئات إلى حسنات، والحال أن أقصى ما يتمنّاه ويطمع فيه المذنب هو العفو عن سيئاته. ألا يدل هذا على شدّة رأفة الرب ورحمته وعنايته بعبده التائب؟ فالتائب لا يستأنف العمل فحسب، بل إنه تعالى سيجعل له رصيداً يوازي ما له من سيئات!

٣٤- من الجميل أن يصل الإنسان إلى مرحلة ينسجم فيها وجوده مع ما هو مطلوب منه شرعاً. صحيح أنه في بدايات سفره إلى الله تعالى قد يعيش حالة من المجاهدة في منع نفسه من مشتهياتها، ولكنه يصل أخيراً إلى مرحلة الصفاء والنقاء، فتُفتح له أبواب القرب إلى مولاه، وعندها هل يرجع إلى المزبلة التي فرّ منها؟!

٣٥- إن البعض من المؤمنين وصل إلى درجة من الورع والتقوى، بحيث صار وجوده منسجماً مع موجبات التقوى والورع. فعندما يرى امرأة أجنبية مثلاً يشعر وكأن هنالك جهازاً يلفّ رقبته، فيصرف وجهه عنها في حركة ارتدادية قسريّة، فهو لا يطيق النظر إليها، ولا يفكر بأنها نظرة أولى له أو ثانية عليه!

٣٦- إن الإنسان في حياته اليومية مشغول بمتعلّقات كثيرة تجلب له التشتت وعدم التركيز في أمور دنياه فضلاً عن أمور آخرته. فكيف يكون الخلاص من هذه الحالة؟ والجواب يُفهم من هذا المثال: إنك عندما تنثر بُرَادة حديد على ورقة فإن جزيئاتها تكون متناثرة. ولكن لو وضعت قطعة من المغناطيس وسط هذه الورقة، فإن هذه الجزيئات تتحرك

١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

في جميع الاتجاهات على جانبي القطبين، وإذا بكل ذرة من ذرات البُرَادة تأخذ موضعها المناسب بها. وعندئذ نقول: إن المغناطيس الإلهي المتمثل بحبه والتعلّق به، هو الذي يقوم بهذا الدور من ترتيب الخطوط المتناثرة في القلب، وبدونه يبقى الإنسان موزّعاً في قلبه، ولهذا علي عليه السلام يصف المؤمن بأنه قد: «**تَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ إِلَّا هَمّاً وَاحِداً انْفَرَدَ بِهِ**»[1].

٣٧ - نحن عندنا مدينتان: مدينة الدنيا، ومدينة الآخرة. وأغلب الناس هم في مدينة الدنيا، والبعض ممّن يريد الهجرة إلى الآخرة هم في الصحراء بين المدينتين، فهم يخرجون من مدينة الدنيا على أمل الوصول إلى ما وصفناه بمدينة الآخرة، ولكنهم في الطريق وبين المدينتين يقعون فريسة للشياطين الناقمة في تلك الصحراء الموحشة، وبالتالي فهم لا يتنعمون بمتع أهل الدنيا، ولا بمتع أهل الآخرة. ويا لها حينئذ من خسارة!

٣٨ - إن من النعم الإلهية تحبيب الإيمان في القلب، فإن ذلك نعم العون للعبد على الطاعة والعبادة؛ لأن العبد إذا رأى ملكوت الطاعة المتمثل بالنور، وإذا رأى ملكوت المعصية المتمثل بالظلمة، فإنه يتحرك بشكل تلقائي من دون حثّ كثير أو معاناة ومجاهدة، لما يوجبه ذلك النور من الانشراح، ولما توجبه تلك الظلمة من الضيق والقبض.

٣٩ - إن أعمال الإنسان الخارجية حسنة وقبيحة إنما هو انعكاس لملكاته الباطنية، فسوء الظن والحسد والأوهام وغيرها من الملكات الخبيثة، تؤثر في تحريك الإنسان نحو الممارسة الخارجية على طبقها. فالعبد إذا لم يجاهد في اقتلاع هذه العيوب الباطنية قلعاً تامّاً، فإنه مهما حاول كبح آثارها بمراقبة جوارحه إلا أنه لا يُؤمن من طغيانها يوماً ما. فإنها كالحوض الذي فيه كدر مترسب، وبمجرد تحريك عصا فيه

---

١) نهج البلاغة، الخطبة: ٧٨.

فإذا به يطفو ويظهر على سطحه.

٤٠ - من الضروري للمؤمن أن يجلس مع نفسه جلسات تفحص باطنية، ليكتشف ما فيها من الملكات الخبيثة، ويحاول أن يزيلها من خلال مراقبة خلجاناته الداخلية. ولكنّ الله تعالى يحب أن يرى نور الانصياع له على جوارح العبد وجوانحه معاً، أي: يحب من عبده أن يكون طاهر الجوارح ونقي القلب؛ ليتحقق عنده الحسن الفعلي والفاعلي معاً، فباكتمال الحسنين يصل إلى درجات القرب من ربّ العالمين.

٤١ - إن مفهوم الهروب مستجمع لأركان ثلاثة: الأول: الجهة التي يهرب منها، والثاني: الجهة التي يهرب إليها، والثالث: سبب الهروب. فالذي يهرب إنما هو يهرب من شيء، ويلوذ بشيء، وهو في هذه الحالة يعيش حالة الخوف والوجل لسبب ما. كالإنسان الهارب من حيوان مفترس، فمن الطبيعي أنه يلوذ بجهة يستشعر فيها الأمان، والذي دفعه إلى ذلك هي الحالة التي استشعرها في نفسه من خوف الضرر والذي جعله يسارع في الفرار. فليكن هكذا حالنا عند الخوف من الشيطان والالتجاء إلى الرحمن.

٤٢ - إن من صفات المؤمن الراسخة هو الخوف من غضب الله تعالى وشديد عذابه، فإذا كان صادقاً في خوفه لا بدّ أن يتحرك ويجدّ في السير إليه تعالى. فهو يفرّ منه إليه، فيفرّ منه بوصف المنتقمية والغضب، ويهرب إليه بوصف الرحمانية والرحيمية، والذي يعيش هذه الحقيقة من الخوف فهو في التجاء دائم إلى الله تعالى. ولهذا جعل القرآن الكريم هذا الخوف من مقام الربّ، هو السبب في الوصول إلى المأوى المتمثل بالجنة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾[1].

١) سورة النازعات، الآية: ٧٠.

٤٣ - لو أن العبد العاصي استشعر حقارة ذاته، وأنه ليس إلا نقطة ضائعة في هذا الوجود المترامي الأطراف من الذرّة إلى المجرّة، فإن ذلك الشعور من موجبات الالتجاء إليه، والإحساس بالضِّعة بين يديه، ولكن بشرط الصدق والجديّة في الفكرة والمشاعر. فليقل: يا رب أنا ما قدري عندك حتى تصبّ عليّ غضبك، وتحلل علي انتقامك؟!

٤٤ - من المناسب للعبد للعاصي الذي يريد التوبة والإنابة، أن يغتسل غسل التوبة، ويصلي ركعتين لا يُحدِّث فيهما نفسه بشيء، ثم يستغفر ربه سبعين مرة في السجود؛ لِيجد الله تعالى بعدها تواباً رحيماً. ومن أراد أن يعلم علامة الاستجابة في التوبة عليه أن ينظر إلى سلوكه بعد ذلك، فإن رأى في نفسه عزوفاً عن المنكر وزهداً في المعاصي؛ فليعلم أنه على خير وأن الله تعالى قد قبل توبته.

٤٥ - إن المؤمن تهمّه أمور دنياه كما تهمّه أمور آخرته، فالدنيا عنده مزرعة الآخرة، وكلما اتسعت المزرعة كان الحصاد أوفر، ومن لا معاش له لا معاد له. فلا مانع أبداً أن يطلب المؤمن من الله تعالى في مظان الإجابة أن يكفيه ما يهمه من أمر دنياه وآخرته. وعليه فإن الانشغال الزائد الذي يصدّ المؤمن عن التقرب إلى ربّه أمر غير مطلوب، فالمؤمن يسأل الله تعالى الكفاية، ولا يأخذ من الدنيا إلا بمقدار حاجته.

٤٦ - إن استحضار ما كان عليه الإنسان في المراحل السابقة من عمره، حيث الضعف والجهل والفقر والذلّ، وبين ما هو فيه الآن من النعم الكثيرة، لمن موجبات إحساس العبد بالشكر المقترن بالحياء من الله تعالى، ومن موجبات تعميق الرحمة في نفسه تجاه المستضعفين، ورفع حالة العجب الذي إذا قارن عمل عبد أفسده، كما يفسد الخل العسل.

٤٧ - إن من صور المنّة الإلهية على عبده: تحبيب الإيمان إلى قلبه، وتكريه الكفر والفسوق والعصيان إليه. فمن وصل إلى هذا المقام، فقد

وصل إلى نوع من أنواع العصمة المصغرة، وبالتالي ينسجم ويتأقلم مع ما هو مطلوب منه شرعاً بدون كثير معاناة. وهذا خلافاً للمؤمن الذي يؤدي الواجب ولا يرتكب الحرام، ولكن قد يوجد في قلبه ميل إلى الحرام ويتركه خوفاً من العقاب وطمعاً في الثواب.

٤٨ - لا بدّ للمؤمن أن يطلب من الله تعالى بالإضافة إلى المغفرة أن يرفع عنه أثر المعصية، والمتمثل بظلمة الباطن، وهو الموجب أيضا للقسوة والإعراض عن الله تعالى. وتعظم المصيبة إذا كان هذا الإدبار في موسم الطاعة، حيث إن من كان في ضيافة الملك ولم يحظ بعنايته وهو في محضره، فهل يتوقع أن يُقبل عليه إذا خرج من قصره؟!

٤٩ - إن من أهم صفات المؤمن هي العفّة، أي: حالة الانضباط وعدم الانفلات واتّباع الشهوات بلا حدّ وقيد. ومن المعلوم بأن لكل عضو خطيئته، فالتفكير في الحرام مثْل الدخان الذي لا يحرق المنزل ولكنه يسوّد جدرانه، والنظر إلى الحرام تفقد العين بصيرة صاحبها، وقول الحرام يسدّ باب الحكمة على صاحبه وهكذا.

٥٠ - إن التقوى والعفة ستر للإنسان، وكل إنسان يحب أن يظهر بمظهر الستر والجمال، إلا أن المعصية ترفع الثوبين معاً، فهي ترفع ثوب الستر للعورة، وترفع ثوب الجمال أيضا فيبدو وكأنه عار، وإن كان الناس لا تدرك ذلك بالعين الظاهرة، ولكن الله تعالى والملائكة يرونه بهذه الحالة المزرية!

٥١ - إن العفاف هي حالة في النفس تبعث على التنزّه والترفع عن كل ما يُشين العبد. فهناك فرق بين من يشتهي الحرام، ويكفّ عنه خوفاً من الفضيحة والعقاب في الدنيا قبل الآخرة، وبين من يترك الحرام لأنه يحترم نفسه ويجلّها أن تتنزل الى المستويات الدنيئة، ولما يُعدّ من سفاسف الأمور.

٥٢ - إن المؤمن في حركته الاقتصادية وطلبه للمعاش ليس بالكسول ولا المهمل، وذلك حتى لا يُذلّ نفسه بإظهار الحاجة إلى لئام الخلق. وأيضاً ليس بالحريص، فإن السعي والاهتمام الزائد لجمع المال وتكديس الذهب والفضة، يُشغل القلب ولا يدع له مجالاً للتفكير فيما يقربه إلى ربّه، فالحرص على الدنيا والأخرى لا يجتمعان كما في قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[1].

٥٣ - لو أن إنساناً كان حسناً في باطنه، وزلّت قدمه يوماً فوقع في ذنب، فإن ذاته محبوبة عند الله تعالى وإن وقع منه ما وقع. ولو أن إنساناً قَذِر الباطن وله ملكات خبيثة، ولكنه عمل بعض الصالحات كخدمة الخلق مثلاً، فإن هذه الذات لا تكون محبوبة عند الله تعالى. فلهذا ينبغي للمؤمن أن يعمل على إصلاح الحقلين معاً، أي: قذر الملكات وقذر الافعال.

٥٤ - إن كل معصية يرتكبها المؤمن لها آثارها في الدنيا والبرزخ والقيامة. فمن آثارها في الدنيا: سقم في البدن، قسوة القلب، حرمان من الرزق. ومن آثارها في البرزخ: أنه يعيش حالة الضيق مع ذاته القبيحة وعمله السيء إلى يوم القيامة. فإن الإنسان في عالم البرزخ لا يعيش إلا مع ذاته وربه، حيث تتلاشى فيه كل الروابط الاجتماعية. فإذا كانت ذاته غير مهذبة، وعلاقته بالله تعالى غير وطيدة، فكيف يقضي أيام البرزخ بطولها وتفاصيلها؟!

٥٥ - ينبغي أن نفرق بين القدر المحض الذي يُؤجر عليه الإنسان كالابتلاء بمرض مفاجئ أو هدم دار أو غرق، وبين البلاء الذي يُقدر بسبب تقصيره. فلو أن إنساناً كان متّصفاً بسوء الخلق؛ فأوقعه ذلك في مشكلة مع زوجته وانتهت بالانفصال، ثم جلبت له الآثار المدمّرة من تفتّت الأسرة

١) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

والأمراض النفسية الملازمة لها إلى آخرها من التبعات. فهذا المبتلى هو السبب للوقوع في مثل تلك المصائب، فلا يؤجر عليها، ويا لها من خسارة عظمى بأن يتجرّع الإنسان انواع البلاء، من دون أن يعوّض عليه!

٥٦ - إن بعض البلاءات المقدرة للإنسان - والتي تكون سببها المعاصي - مثَلُها كالماء المختزن وراء السدّ الذي يتجمع شيئاً فشيئاً إلى أن يرتفع منسوبه، وإذا بالسدّ يتصدع ويسيل منه الفيضان المدمّر. وعليه نقول: لنفترض أن هناك إنساناً يستحق الكثير من البلاء نتيجة أعماله السيئة، ولكن الله تعالى أوقفها لبعض أعماله الصالحة، وإذا به يرتكب معصية تهتك الستر بينه وبين ربه، فتأتيه البلايا متتابعة: سقماً في البدن، حرماناً في الرزق، ذلاً بين الناس، مصيبة في الأهل والولد، وفقداً للأمن والاستقرار. فلنحذر جميعاً هذا الستر الذي جعله الله تعالى بيننا وبينه، فإنه إذا جاء سيل البلايا والهموم، فإنه يهوي بالإنسان إلى أسفل سافلين.

٥٧ - إن الطاعة أقسام: طاعة الخائفين وهي أن يطيع العبد ربه خوفاً من عقابه وأليم عذابه في الدنيا والآخرة، وطاعة الطامعين وهي أن يطيعه طمعاً في ثوابه وجنته، وطاعة الخاشعين وهي حصيلة لأمرين: معرفة في النفس وحباً في الفؤاد، ونتيجتهما هي الطاعة الخالصة.

٥٨ - من المناسب للمؤمن أن يسأل ربّه أن يوفّقه للعمل الصالح الذي يخلّد ذكْره، ويكون له صدقة جارية بعد موته وهو في قبره وقد انقطع عمله، إذ يتحسر على حسنة واحدة تخلصه من عذابه، وإذا بأفواج الحسنات تنهمر عليه من تلك الصدقة الجارية. أليس هذا هو الاستثمار الحقيقي للحياة الماضية؟ فكم من الخسارة أن يذهب الإنسان من هذه الدنيا ولا يترك علماً يُنتفع به، ولا ولداً صالحا يدعو له، ولا صدقة جارية يُنتفع بها بعد موته؟

٥٩ - إن الإنسان الفظّ غليظ القلب، غير مقبول في مجتمعه، فلا يُتحمّل ولا يُطاق في أسرته ولا في عمله، بخلاف الإنسان الهشّ البشّ واسع الصدر، حيث تجده ناجحاً في عمله، مقبولاً بين الناس، سريع التأثير فيهم.

٦٠ - إن الحلم غطاء ساتر، فالإنسان الذي يواجه حالات الغضب بالهدوء والصمت فإنه يغطي على سيئاته، وبذلك يجنب نفسه موجبات الاعتذار، كما يحسن التعامل به مع الغير. ولا بدَّ للمؤمن - وبالأخص من هو معروف بالانتساب إلى الدين - أن يكون متحلّياً بالأخلاق الحسنة؛ لأنه إذا أساء الخُلق وأغلظ في القول، فإنه سيسيء إلى الدين أكثر مما يؤيده.

٦١ - ينبغي على المؤمن عندما يكون في بعض الظروف أو الحالات الموجبة لضيق المزاج مثل: المرض والسفر، أن يلتفت إلى نفسه، حتى لا يقع فيما لا يرضي الله تعالى من الحدّة على الخلق وإيذائهم.

٦٢ - إن البعض قد تكون حالة ضيق الصدر طبعاً راسخاً فيه، ولعله بسبب تأثيرات بيئية أو وراثية، فعليه أن يضاعف الجهد حتى يتغلب على طبعه، ولا شك في أن له عند الله تعالى الأجر المضاعف لما يتحمّله من المشقة في رفع مقتضى طبعه.

٦٣ - إن البعض تسوّل له نفسه الانغماس في متع الدنيا، وإنه سوف يتدارك ذلك التقصير في مرحلة الشيخوخة. والحال أن مرحلة الشباب تمثّل أوج القدرة عند الإنسان، فكلّما تقدّم في السن قلّت قدراته، فقد كان يتمتع بقوة البدن والتي استهلكها في غير ما يعود عليه بنفع لآخرته، والآن لمّا كبر في العمر توالت عليه العلل المانعة من الوصول إلى ما يريد!

٦٤ - إن حالة الإنسان بالنسبة إلى الموت: إما كحال إنسان مغلول يساق إلى بلده ليعاقب بالإعدام، وإما كحال إنسان يرجو اللقاء بفتاة

تُزفّ إليه. فالأول يخاف من الموت، والثاني يشتاق إلى من يهواه!

٦٥ - هنالك صداقة حميمة بين الروح وبين البدن بمقدار ما عمّره الإنسان في الدنيا، فإذا أراد ملك الموت أن ينهي هذه العلاقة إنهاء فجائيا فما الذي سيحصل؟ ومن هنا كان هول المطّلع وفراق الأحبّة، من أصعب ما يعتري الميت من حالات.

٦٦ - إذا أردت أن تتصور سكرات الموت: فلك أن تتصور حال الأم عند الولادة وما تتحمله من أشد الآلام لانفصال المولود من بدنها، ولك أن تتصور أيضاً حال السجين الذي يعذب بقلع أظافره. فكيف بخروج الروح من كل جزء من أجزاء بدنه، بدءاً من أصابع القدم إلى قمة الرأس!. نعم للبعض من المقربين فإن الامر فيه روح وريحان، حيث ورد في بعض الروايات: أنّ ملك الموت ليقف من المؤمن عند موته موقف العبد الذليل من المولى، فيقوم وأصحابه لا يدنون منه حتى يبدأه بالتسليم ويبشره بالجنة.

٦٧ - إن تذكر الموت يسبب للبعض الخوف والقلق، ولهذا فإنهم يفضلون التناسي والابتعاد عن كل ما يذكرهم بالموت. والحال أنه قضاء محتوم، ولا بدّ لكل إنسان أن يواجه ذلك اليوم، فينبغي البرمجة والتزود، لا الهرب والتغافل.

٦٨ - إن من لوازم ذكر الموت البرمجة الجادّة؛ لتتحقق في الدنيا حالة اللقاء الإلهي اختياراً قبل اللقاء قهراً بعد الموت، فبدلاً من أن يعيش المؤمن حالة التناسي والتغافل لهذا اللقاء المصيري، عليه أن يبرمج لذلك ويسارع في التزود من الخيرات قبل فوات الأوان.

٦٩ - ينبغي للشباب استغلال ما هم فيه من نعمة الصحة والفراغ، ومن المعلوم أن الله تعالى يبارك في خطوات الشاب الذي ينيب إلى ربّه؛ فالشاب الذي يجاهد هوى نفسه فإنه يتقدم سريعاً إلى الله تعالى.

٧٠- إن من الأمور التي تهوّن ثقل الموت على الإنسان، فراغ الذمّة من التكاليف سواء في باب المعاملات أو العبادات، فإن التقصير في ذلك من موجبات نزع الروح بشكل مؤلم ومخيف! ومن هنا يتأكد للمؤمن أن يجمع بين الوصية ضماناً لما بعد الموت، وبين المراقبة ضماناً لتدارك أي نقص فيما هو فيه من الحياة الدنيا.

٧١- إن بعض ما يواجهه المؤمن عند الموت، هو تمحيص للذنوب التي لم يُكفّر عنها بالتوبة، وذلك أيام غفلته في الدنيا، ومن هنا فإن من كان حريصاً دائماً على تصفية حسابه مع الخلق والخالق، فإنه يُعفى من تلك الأهوال والآلام.

٧٢- إن البعض عندما ينتقل إلى عالم البرزخ يعلم أنه من أصحاب النعيم فينام قرير العين. والبعض يعلم أنه من أصحاب الجحيم فيظل يتقلقل في العذاب إلى يوم الدين. ولكن البعض قد يكون أمره مبهماً، وكم هو مقلق أن يعيش الإنسان إلى ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وهو لا يعلم أنه من أهل اليمين أو من أهل الشمال!. وفي الدعاء: «**لَيْتَ شِعْرِي أَ لِلشَّقَاءِ وَلَدَتْنِي أُمِّي، أَمْ لِلْعَنَاءِ رَبَّتْنِي؟! فَلَيْتَهَا لَمْ تَلِدْنِي وَ لَمْ تُرَبِّنِي، وَ لَيْتَنِي عَلِمْتُ أَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ جَعَلْتَنِي؟ وَ بِقُرْبِكَ وَ جِوَارِكَ خَصَصْتَنِي؟ فَتَقِرَّ بِذَلِكَ عَيْنِي وَ تَطْمَئِنَّ لَهُ نَفْسِي**»[١].

٧٣- لو تأمل المؤمن في ساعات الجدّ من حياته، لرأى أنها ساعات محدودة جدّاً، ولهذا فإن الإنسان كم يتحسر يوم القيامة عندما يرى الصناديق الفارغة التي كان بإمكانه أن يملأها حسنات ترفع من درجته في الجنة؟!، والأدهى من ذلك عندما تفتح الصناديق فيرى ما فيها من السيئات.

٧٤- إن المؤمن كلما ترقى في الإيمان درجة، ارتفعت مقاييس

---

١) الصحيفة السجادية، ص٤٠٤.

المحاسبة عنده، فصار مطالباً بما كان سابقاً معفياً عنه، أي: كما يقال: «إن حسنات الأبرار سيئات المقربين»!

٧٥ - إن المؤمن إذا تاب إلى ربه اجتنب النظر والاستماع المحرم، ولكنه بعد فترة يترقى في الإيمان فلا يجد في نفسه ميلاً ولا أنساً إلا بما يذكّر بالله تعالى، فلا يشغل نفسه حتى بفضول النظر، أو بالاستماع إلى ما لا يعنيه.

٧٦ - إن الذي لا يروّض نفسه ويتعود على عالم اللهو واللغو، فإنه كلما همَّ بعمل جادّ - للدنيا أو للآخرة - يراه ثقيلاً على نفسه، وكأنه يصعد شاهقاً من الجبال، ولا يجد في نفسه ميلاً إلى الترقي إلى الدرجات العالية، وبذلك يبقى في الوديان السحيقة.

٧٧ - إن السياسة الشرعية في السلوك قائمة على أساس تحذير السائر من المشي على حافة الهاوية، فمن اللازم الاجتناب عما يشبه الحرام؛ لئلا يتورط صاحبه في المعصية من دون أن يشعر، وقد قيل: «إن من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه»!

٧٨ - من المناسب للمؤمن قبل أن يتكلم في موضوع، أن يتأمّل لحظات فيما يريد أن يتحدث به، ليتأكد من الفائدة في كلامه، ويتجنب المزالق في هذا المجال من الكلام المتشعب غير الهادف.

٧٩ - إن الصمت من الصفات التي يحرص عليها المؤمن؛ لأن الذي يقلّ كلامه يتلقى الحكمة، ويصبح مستعداً لإفاضة الحكمة عليه كما اتفق للقمان الحكيم، فما يتكلم به يكون له تأثيره في النفوس القابلة، بخلاف الإنسان المهذار الثرثار!

٨٠ - إن المؤمن فرحه يكون في كل ما يوجب له القرب من مولاه، ولو كان أمراً شاقّاً على نفسه، فهو تعالى مصدر الأنس والسعادة في الوجود. بينما غيره يفرح بالتلذذ والتمتع بألوان المتاع، منغمساً فيه وغافلاً عن ذكر ربه. وشتان بين فرح يقرب وينجي، وبين فرح يبعد ويهلك!

٨١ - إن الهدف من الخلقة هو أن يعمّر الإنسان آخرته، وذلك بأن يستثمر كل ما بيده من النعم بما يزيد رصيده الأبدي وليس العكس، فلا ينبغي له أن يقدِم على أي عمل يصد عن هذا الرصيد المؤبد ولو كان مغرياً في دنياه.

٨٢ - إن المنغمسين في اللذائذ الدنيوية يُصابون بحالات الاكتئاب والخوف من الموت مع تقدم العمر، حيث انتهى زمان الاستمتاع واقترب وقت الحساب وظهورهم محمّلة بالأوزار. بينما نرى المؤمن كلما ازداد سنّه ازداد نشاطه؛ لاقتراب موعد تحرره من سجن الدنيا ولقائه بالمعشوق الأبدي.

٨٣ - من المناسب للمؤمن أن يخصص لنفسه جلسات تأملية، يتأمل فيها عيوب نفسه وسبل تكاملها وتخليصها من ملكاتها الخبيثة. ومن أفضل الأوقات لذلك، هي: أعقاب الصلوات، وعند تلاوة القرآن الكريم، أو حضور مجالس الوعظ والإرشاد، أو قراءة الكتب.

٨٤ - إن الذي يستشعر الخطاب الإلهي وهو يتلو القرآن الكريم، ويتدبر في معانيه، ويتأمل في مدى انطباقها على نفسه، فإن من المرجو أن يحدث له بذلك انقلاب جوهري يغيّر مجرى حياته.

٨٥ - إن البعض يحقق درجات عليا في الكمال بعد سنوات من المجاهدات البسيطة المستمرة، ولكن هنالك من يقوم بجهاد عظيم في وقت قصير؛ فتنفتح له الآفاق في عالم الكمال والقرب الإلهي. وليُعلم أن حبّ الكمال أمر سهل، غير أن حقائق الناس ومعادنهم تنكشف في المواقف الامتحانية، حيث تتطلب المجاهدة والوقوف أمام صنمية الذات. وعليه ينبغي للمؤمن أن يقدّم قرباناً متميزاً، ولو علم الله تعالى حسن نيته وصدق رغبته في القرب، تقبّل منه قربانه بقبول حسن، وشملته بركاته الأبدية.

٨٦ - إن المؤمن لو أشكل عليه أمر فيما يتعلق بالفقه، فأمره سهل بمراجعة الرسالة العملية أو سؤال عالم فيه، ولكن المشكلة في موارد التحيّر الكثيرة التي تمر عليه في حياته، والذي لا يُعرف فيها هل إن الصلاح في الإقدام أو الإحجام؟ فينبغي أن يلتجئ إلى ربّه بأن يفتح له عين الباطن، وأن يجعل له نوراً يعينه في متاهات الحياة المظلمة.

٨٧ - إن من يتوغل في الشهوات، وهمّه لا يتجاوز الأجوفين، فمن الطبيعي أن ينطفئ في داخله نور البصيرة، ويُسلب حالة اليقظة والتفكير بمصيره الأبدي.

٨٨ - إن آثار اليقظة في الدنيا تمتد إلى البرزخ وعرصات القيامة، فإن أصحابها من ذوي البصيرة والعمل يسعى نورهم بين أيديهم، ويكونون في أمن من أهوال القيامة. أما من كان في الدنيا منغمساً في الظلمات، فتراهم يلتمسون ذلك النور منهم، ولكن هيهات! فالذي لا نور له في الدنيا، لا نور له في الآخرة!

٨٩ - إن الذي يريد الوصول إلى مقام يشبه الخُلّة الممثل بالقرب المتميز من ربّ العالمين، فليوطّن نفسه على ابتلاء يشبه ابتلاء إبراهيم عليه السلام، وما يدور في هذا الفلك من الابتلاء. ومن المعلوم أنّه كلما عظم المقام عظم البلاء!

٩٠ - إن المؤمن إذا رأى الصورة البرزخية للأعمال، فإنه لا يحتاج إلى مجاهدة مع النفس حينئذ؛ فإن رؤية الملكوت في الواجبات والمستحبات، تجعله ينساق قهراً لفعلها، فلا ينفك عن الواجب والمستحب. وكذلك فإن رؤية الصورة الملكوتية للحرام، تجعله لا ينفك عن ترك الحرام كرؤيته للنار في أكل مال اليتيم واحساسه بالجنون عند أكل الربا.

٩١ - إن المؤمن الذي ينظر إلى ملكوت المعاصي على أنها باب من أبواب النيران، ينزجر قهراً عن فعل المعاصي، وتنفر نفسه منها نفوراً شديداً!

فلو أن إنساناً أمامه جمرة، وقيل له: لا تمد يدك إليها، ألا يغضب منه قائلا: أتستهزئ بي! وأي عاقل يمد يده إلى جمرة؟! لأنه قد كُشف له الأمر ورأى عياناً حرارة النار وضوئها. ولكن لو كانت هذه الجمرة محاطة بالرماد وهو لا يرى أثراً للنار فيها، و أوشك أن يمد يده لظنه بأن لا جمرة تحت الرماد، فهنا بالإمكان أن تقول له: احذر الجمرة التي غطاها الرماد!

٩٢ - إن المؤمن في حياته اليومية تُعرض عليه أمور كثيرة يتحير فيها، ولا يدري هل إن الصلاح فيها يكون بالإقدام أو الإحجام، وكم من أمر أقدم عليه ظناً منه بأن فيه الصلاح والخير، ثم تبين له عكسه ولم تكن عاقبة أمره إلا الخسران! ولهذا فإن المناسب للمؤمن أن يسأل الله تعالى أن يجعل له نوراً، ويلهمه السبيل الأفضل في هذه الحياة، إذ ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾[1] ولكن كيف تكون تلك المشيئة، ومتى تكون؟! فهنا يأتي دور الدعاء والتوسل إلى الله تعالى، فإنه نعم السبيل لامتلاك هذا النور.

٩٣ - إن المؤمن بعد كل عمل عبادي يُقدر له وساماً من أوسمة القرب، ولكنه بسبب معصية ارتكبها قد يحرم هذا الوسام! وهذا حاله كحال التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً! فإن فضل الله تعالى مقدر وهو يحتاج إلى موجب واستحقاق وقابلية، فإذا رفع الموانع تنهمر عليه الفيوضات. وكما قد ورد: «**أَخْلِصْ قَلْبَكَ يَكْفِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ**»[2].

٩٤ - ليس المطلوب من المؤمن أن يرهق نفسه بالعبادات الثقيلة، فبدلاً من الإكثار من موجبات الفيض عليه برفع موانع الافاضة! ولو اقتصد في عبادته بقلب سليم لفتحت له الأبواب من كل جهة دون احتساب؛ فإن العمل الصالح كالبذرة، تحتاج إلى أرض خصبة سليمة من الآفات. فلو زرعت بذرة واحدة من الورد، في أرض خصبة، لأنبتت

١) سورة النور، الآية: ٣٥.
٢) بحار الأنوار، ج٧٠، ص١٧٥.

آلاف الورود. أما لو زرعت بذوراً كثيرة في أرض سبخة، فإنها لا تنبت شجراً ولا كلأ. وقد ورد: «**القصد إلى الله بالقلوب أبلغ من إتعاب الجوارح بالأعمال**»[1].

٩٥- إن المؤمن عندما يقول في الدعاء كلمة: «اجعلني» فكأنما يتبرأ من حوله وقوته، ولسان حاله: يا رب أنا أسعى لأن أكون عبداً صالحاً، ولكن أنت اجعلني في طريق الصلاح والكمال كما جعلت المودة والرحمة بين الزوجين، وجعلت من الماء كل شيء حي. فأنت المتصرف في كل شيء بدء من عالم الانفس إلى عالم الآفاق وهذا القلب الباطني جزء من هذا العالم، فتصرف فيه بيد قدرتك!

٩٦- إن الذي يريد الخلاص من الملكات الخبيثة، عليه أن يواظب على هاتين الحركتين: الأولى: المجاهدة وعدم الاستسلام للعمل بمقتضى الملكة الخبيثة، حتى لا تتعمّق وتتأصل في نفسه. والثانية: الإتيان بما يعاكسها. فمن تورط بالحسد مثلاً عليه أن لا يعمل بحسده، بإيذاء من يحسده، بل يتعمد أن يحسن إليه، ويخصه بالثناء والتكريم والدعاء. ولو أن إنساناً يرى في نفسه بذور التكبر، فإن عليه أن لا يظهر تكبره خارجاً، بل يتكلّف التواضع. ولو أن إنساناً عنده مرض البخل، فإن عليه أن لا يستسلم للبخل، ويجبر نفسه على الإنفاق، وهكذا.

٩٧- إن البعض يعتقد باطلاً أن الملكات غير قابلة للتغيير، وإن على الإنسان فقط أن يحول دون إظهارها خارجاً! وهذا مما يوجب اليأس، ويثبّط الهمم. وكم رأينا من ذوي الملكات الخبيثة، وقد زالت عنهم بالمجاهدة، زوالاً جذرياً؛ ليتحول إلى صاحب قلب سليم من الآفات والخبائث. وخير تعريف للقلب السليم في المقام هو: ذلك القلب الذي يلقى الله تعالى وليس فيه أحد سواه.

---

١) سفينة البحار، ج٨، ص٥٤٠.

٩٨ - تنتاب المؤمن بعد ارتكاب المعصية حالة من الضيق الشديد، إلى درجة يكره معها نفسه، وقد يدعو عليها بالموت؛ لأنه يعيش حالة من التألم الباطني. ولكن معاودة المعصية مرة بعد مرة، قد توجب له ختم القلب، فتتحول نفسه من نفس لوّامة إلى أمّارة بالسوء.

٩٩ - إن الإنسان يُحاسب على النوم زيادة عن حاجته، ومن المعلوم أن النوم هو الموت الأصغر، وانقطاع عن العمل، واسترخاء بين يدي الله تعالى. فلو أن إنساناً كان في ضيافة ملك، ألا يقتصر على النوم عنده بالمقدار اللازم لينعم بالجلوس بين يديه أكثر فأكثر؟

١٠٠ - إن المؤمن عندما يسأل الله تعالى أن يرزقه العصمة كما في دعاء شهر رمضان قائلاً: «**وَارْزُقْني فيهِ التَّوْفيقَ وَالْعِصْمَةَ**»[١]؛ فإنه لا يعني بذلك العصمة الخاصة، وإنما العصمة الممكنة بأدنى درجاتها. فكما أنه لا يمكن لأحد أن يخرج للملأ العام بثياب نومه مثلاً، كذلك فإن المؤمن من الممكن أن يصل إلى درجة استقذار الحرام، ولا يمكنه أن يفكر يوماً بمعصية الله سبحانه وتعالى.

١٠١ - إن من مميزات الحركة المستقيمة: قطع المسافات حتى الوصول إلى الهدف، ولهذا فإن فيها نشاطا وشوقا، وهو يتضاعف عند الاقتراب من الهدف، بخلاف الحركة الدائرية، فصاحبها يصيبه الإحباط والملل، فيتقاعس عن حركته. وتتحول العبادة إلى عادة، ولهذا فهو لا يحقق تكاملاً.

١٠٢ - إن المؤمن المتقي يعيش حلاوة الرضوان الإلهي، ولكن الذي يرتكب الذنوب يعيش حالة المقت والاحتقار لذاته، وقد يعاقب نفسه، أو ينهي حياته بيده - كما نلاحظ عند كبار المجرمين - لأنه لا يتحمل ما يراه من ذات قبيحة!

---

١) إقبال الأعمال، ج١، ص٤١٠.

١٠٣ - إن البعض قد يرتكب الحرام - وهو كاره له - لغلبة شهوته عليه، ولكن من يستذوق الحرام، فهو إنسان مريض، عليه أن يعالج نفسه قبل أن يستفحل به المرض! فمثله مثل من يشتهي ما لا يؤكل عند سليمي الحواس، ولو تُرك على حاله فإنه سيهلك!

١٠٤ - إن التكامل أمر ذو مراحل، فالله تعالى أراد للأرواح التدرج في التكامل لحكمة يراها، وإلا فمن النوادر أن ينقلب الإنسان في لحظة واحدة، من حضيض الضلالة إلى قمة الهداية، وهذا الأمر النادر إنما يتحقق عند مجاهدة معتبرة كالسحرة عند مواجهتهم لفرعون إذ قالوا له بعدما أردا صلبهم والتنكيل بهم: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[1].

١٠٥ - إن المؤمن إذا وصل إلى مرحلة من التكامل فانه يرى أن استشهاده في سبيل الله تعالى، لا يعدّ منّة كبيرة على الله ورسوله، بل يراها صفقة رابحة؛ حيث إن هذه النفس المحبوسة في عالم الأبدان تحررت وانتقلت إلى المليك المقتدر ليعطيه جزاءه الأوفى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

١٠٦ - إن من محفزات التكامل في عالمنا اليوم هي حالة الملل من لذائذ الدنيا المحدودة التي لا تجدد فيها، وهذا التوسع الكبير في إمكان نشر المعلومة مما لم يعهد من قبل حيث صار الأمر ميسّراً ليس فقط لطلاب العلم بل لربات البيوت في المنازل أيضاً.

١٠٧ - إن الذي يريد تهذيب نفسه، والرقي بها في مدارج الكمال، لا بدّ له من معرفته بهذه النفس وأسرارها. ولا طريق لاكتشاف ذلك، إلا

---

١) سورة طه، الآية: ٧٢.
٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٠.

بالاطلاع على ما جاء في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، والتأملات المستندة لهما وخاصة فيما يتعلق بجهاد النفس. ومن المعلوم أن الذي يُشبع ذهنه بالآيات والروايات المختصة بسبل معرفة النفس وتكاملها، يصبح لديه مخزون فكري يعينه على علاج باطنه، فلكل إنسان طريقته في علاج نفسه.

١٠٨ - إن من المناسب للمؤمن قبيل سن الأربعين أن يجعل لنفسه برنامجاً وخطة للتكامل، فإنه في هذا السن أكثر ترشحاً للتكامل؛ لأنه لا يعيش ضعف الشيخوخة وما يستلزمه من فتور الهمة، ولا يعيش سكر الشباب وفوران الغرائز.

١٠٩ - إن الإنسان بسلوكه في هذه السنوات المحدودة يرسم لنفسه حياة أبدية، ولكن المؤمن حتى وإن كان ضامناً لدخوله الجنة، إلا أنه ينبغي أن يثير في نفسه هذه الرغبة في الفوز بالدرجات العليا المتمثلة بجوار النبي صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام.

١١٠ - لا بدّ لمن يريد أن يصل إلى درجة تكاملية، أن يوطّن نفسه على الصبر والكدح المتواصل. ومن الغريب أن الناس في سبيل تحقيق مآربهم الدنيوية يبذلون ما يبذلون، ولكن فيما يتعلق بأحوال النفس وتكاملها تراهم يتثاقلون إلى الأرض بدلاً من العروج إلى السماء!

١١١ - إن الكمال في مجال تهذيب النفس يحتاج إلى برمجة متواصلة على مراحل، ومن الخطأ أن يتوقع العبد أن يرتقي الدرجات بمجرد التوفيق لبعض الأعمال العبادية، فلا بُدّ دونَ الشّهدِ من إبَرِ النّحلِ[1]!. كما أنه لا بدّ أن لا تتوقف حركته التكاملية بمجرد رؤية بعض الجوائز المعجّلة، فإن المؤمن لا يقر قراره حتى يصل إلى ربه، فلا يرى في الوجود مؤثراً غيره.

---

١) عجز بيت للمتنبي صدره: تُريدينَ لُقيانَ المَعَالي رَخيصَةً.

١١٢ - إن رغبات النفس لا حدود لها، فالذي يعطي نفسه سؤلها فيما ترغب وتشتهي، فهل يأمن من تمردها يوما، والذي قد يوقعها في دركات الهلكات؟! وقد شبّهت الرواية دار الدنيا بماء البحر فلا يزداد الشارب له إلا عطشا، فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: **«مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ مَاءِ الْبَحْرِ، كُلَّمَا شَرِبَ مِنْهُ الْعَطْشَانُ ازْدَادَ عَطَشاً حَتَّى يَقْتُلَهُ»** [١].

١١٣ - إن البعض يوطّن نفسه على الجود بالفضل الزائد عن حاجته، وهذا أمر حسن، ولكن الاختبار البليغ يتمثل في أن يؤثر الإنسان على نفسه ولو كانت به خصاصة، فهذا لا يصدر إلا عن نفس تسامت في عالم التكامل، وتحررت من قيود الأنانية.

١١٤ - إن البعض يُشغِل نفسه بما يجري من الأحداث على الأمة وهي بحق مقلقة كثيراً؛ فيوقعه ذلك في اضطراب باطني، والحال أنه عبد مكلف يجب عليه أن يؤدي تكليفه، وللبيت رب يحميه! فلو ألزم نفسه بهذا الاعتقاد لتحققت له الراحة النفسية!

١١٥ - إن المؤمن في سرور متصل، ونشاط مستمر، بل إن ذلك يزداد كلما تقدم في العمر، ومن هنا نجد بعض علمائنا يتسلم زمام المرجعية بما فيها من المسؤوليات العظمى والهموم الثقيلة، وهو في سن السبعين أو أكثر، وما ذلك إلا أثر من آثار الاطمئنان الباطني الذي يعيشه.

١١٦ - لا شك أن الروح أشرف وأقدس من البدن الفاني، ولولاها ما استحق آدم عليه السلام سجود الملائكة. فنقول بعد ذلك: أليس من المؤسف أن يكون البدن مسبّحاً، بينما الروح تعيش حالة الغفلة المطبقة؟! بل إن الإنسان قد يكون أضل حتى من الدواب التي يركبها، إذ هو يعصي وهي تسبح!.

١١٧ - إن طبيعة الأرواح كطبيعة الأجسام، تبقى على حالها إذا لم

---

١) الكافي، ج٢، ص١٦٧.

ترد عليها عوامل خارجية مغيرة لها وموجبة لتكاملها، وإلا فمرور السنين لا يؤثر في تغيرها!

١١٨ - إن من موجبات رفع الغفلة هي زيارة القبور، وذلك لا للترحم على الموتى واخذ الأجر فحسب، بل لتفقد المنزل الذي نحن صائرون إليه! وليفترض أحدنا أنه دفن في واحد من هذه القبور، وأذن له بالرجوع إلى الدنيا، فما هو بفاعل وقد أعطي فرصة أخرى لتدارك ما فاته؟!

١١٩ - حاول أن تعيش الاستقلالية الباطنية بمعنى وجود قوام لشخصيتك الباطنية! فإن الذي يعيش الخواء الباطني، ولا همّ ولا شغل له، فمن الطبيعي أن يجلس الساعات الطويلة أمام التلفاز، ليقلب من محطة إلى محطة بلا هدف، أو يهدر وقته في الأباطيل.

١٢٠ - إن الصمت من صفات المؤمن؛ لأن له ما يشغل باطنه: تفكراً في حكمة أو آية أو رواية؛ أو سياحة روحية لذيذة في الحديث مع رب العالمين. ويصل الأمر في هذا المجال إلى درجة يثقل على المؤمن المراقب لنفسه الحديث الذي لا ضرورة له من الغير. فالإقبال عليه سبحانه فرع الإعراض الباطني عن غيره، ولو بتقليل الثرثرة المشوشة لصفاء الروح، واستعدادها لمقابلة رب الأرباب

١٢١ - إن حُسن عاقبة الحر مما يبعث الأمل في نفوس العصاة، فإن العاصي مهما غلب الرين على قلبه إلا أنه إذا كانت لديه نقاطاً مضيئة في وجوده فإنه قد يوفق للتوبة النصوح، وتكتب له سعادة أبدية مميزة.

١٢٢ - قبل أن تلبي دعوة إلى مكان ما، انظر إلى طبيعة ذلك المكان، من حيث المدعوين، ووجود أجواء اللهو والمنكر فيه. ولا تجامل أحداً على حساب دينك وسلامة روحك، فإنه لن ينفعك أو يشفع لك أحد يوم القيامة إن تورطت ووقعت في الحرام! فالعاقل يُجلُّ نفسه عن الذهاب إلى هذه الأماكن الملهية التي تعرض صاحبها إلى انتقام الشياطين؟!

١٢٣ - لا ينبغي أن يركن المؤمن إلى ما هو عليه من الصلاح، فإنه مهما بلغ من درجات في التقوى والإيمان، لا يدري من أين يُؤكل، ولا في أي بحر يغرق، وكم هم الذين لم يلهج لسانهم بذكر الشهادتين في اللحظات الأخيرة من حياتهم!

١٢٤ - كما أن هنالك طفرات في عالم الكمال، فكذلك الأمر في عالم التسافل، إذ قد يكون المؤمن قاب قوسين أو أدنى من بعض صور الكمال، ولكنه بمعصية واحدة يتسافل بها ويسقط إلى أسفل سافلين!

١٢٥ - كما أن الإنسان في موقف ما قد يحصل على درجات تكاملية، لا تعطى له إلا بمجاهدة سنوات، كذلك فإنه بمعصية قد يتسافل أضعاف ما تسافل به في سنوات من عمره! إن الشيطان يوسوس للبعض فيرتكب المعصية تلو الأخرى، حتى تتراكم المعاصي، وإذا بسُحب الغضب الإلهي تُمطره بصنوف من البلاء بعد ذنب يطفح به الكيل: فيهوي به أبعد من الثريا!

١٢٦ - إن هنالك نفحات عامة تكون في بعض الأماكن والأزمنة المباركة، ولكن على المؤمن أن يترصد ويكتشف الأعمال التي توجب له النفحات الخاصة، ومن المناسب أن يسجّل تلك الأعمال ويحفظها ليقوم بها كلما أراد أن تهب عليه تلك النفحات.

١٢٧ - إن المؤمن الذي وصل إلى درجة عالية من الكمال لا يخاف من الوقوع في الامتحانات الصعبة، بل إنه يتمنى أن يقع في إغراء شبيه بما وقع ليوسف عليه السلام، أو يقوم بموقف فيه لله تعالى مجاهدة عظمى كسحرة فرعون، ويعتبرها صفقات مربحة، ليثبت تفوقه، ويأخذ الجوائز العظيمة. ولقد ورد النهي عن سؤال البلاء بل ورد سؤال العافية والشكر عليها[1]، وهو لا يمنع تمني التميز في الخروج من الامتحان

١) الدعوات، ص١١٤.

كأحسن ما يكون العبد بيد يدي ربه!

١٢٨ - إن المؤمن يهمّه استقطاب القلوب الطاهرة وإن قلّت، وإلا فإن بعض الفسقة تنجذب إليهم قلوب الكثير ممن يتسانخون معه، ولكن ما قيمة هذه القلوب المنكوسة؟!

١٢٩ - لو أن الإنسان لم يقم بحركة تغييرية في نفسه، فإنه سيكون متثاقلاً إلى الأرض، إلى درجة أنه يتحول إلى عنصر جامد لا روح فيه كالحجارة الصماء التي لا تتوقع منها تغييراً.

١٣٠ - غريبٌ أمر هذا الإنسان الذي خلقه الله تعالى في أحسن تقويم، وكرّمه أحسن تكريم، وعلّمه البيان، واختاره خليفة له، وإذا به يتسافل إلى أسفل سافلين، فيصير كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1]!

١٣١ - إن الذي ليس له تخطيط وبرمجة صحيحة، يعيش حالة الارتباك في حياته، وقد يؤذي نفسه باتخاذ قرارات غير مدروسة. فلا بدّ من التخطيط أولاً ثم طلب التسديد الإلهي ثانياً فيما يقوم به؛ لأن منشأ بعض الانحرافات الكبرى هو التصور الخاطئ لخارطة الطريق.

١٣٢ - إن البعض يظن بأن حسن الخُلق يتمثّل في البشاشة والابتسامة، وكثرة المزاح والضحك، بينما الصحيح أنه عبارة عن إعادة تشكيلة للوجود مرة أخرى، بحيث يتجنب صاحبه كل السلبيات المتفرعة عن الطباع السيئة.

١٣٣ - إنه لمن الجميل أن نجلس جلسة تأملية مع أنفسنا، لندرس نقاط الضعف والخلل فيها، عسى الله تعالى أن يوفقنا لبلوغ تلك الشخصية المستقيمة.

١٣٤ - إن حسن الخُلق هو في مقابل حسن الخَلق، كما أن الله تعالى

١) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

جعل خلق الإنسان في أحسن تقويم، وصف فيه نفسه بأنه ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1]، فإن العبد في المقابل مأمور أن يجعل خُلُقه كذلك، أي: في أحسن صورة من خلال المجاهدة.

١٣٥ - نرى الخشونة عند البعض صفة مغروسة في وجودهم، وقد يكون ذلك لأسباب بيئية، ولكن لا ينبغي الاسترسال في هذا المجال، فإن الملكات قابلة للتصحيح أيضاً، وذلك بتكلّف عكسها حتى تصبح هي الملكة لاحقاً.

١٣٦ - من مظاهر التشتت: التشتت الفكري، والقلبي. والملاحظ أن الإنسان المعاصر يعيش مظاهر التشتت الكثيرة في حياته رغم أنه يعيش سعة من جهة الرزق والرفاهية، فالمشكلة هي في البواطن القلقة، ومن أسباب ذلك البعد عن مصدر الأنس والاطمئنان في هذا الوجود.

١٣٧ - إن ضبط الخواطر والأفكار من الأمور الصعبة جداً، فليس أمر الباطن كالبدن خاضع لإرادة الإنسان ويمكن السيطرة عليه من خلال العضلات، فنحن ليست لدينا أدوات سيطرة مادية على ما ينبغي أن نفكر فيه؛ لأن الأفكار من عالم المعاني، ولا تخضع للجوارح كالبدن.

١٣٨ - إن عدم برمجة الوقت من الأخطاء السلوكية الكبيرة، التي تفوّت على الإنسان تحقيق أقصى استفادة ممكنة من وقته، وتوقعه في التشتت الباطني، فلا يدري كيف يستغل وقت فراغه. وعليه فإن الذي ليست له برمجة دقيقة وخطة يسير على وفقها، فإنه لا يحقق مكسباً ولا يترقى علمياً ولا روحياً.

١٣٩ - إن اهتمام المؤمن بأمر آخرته وأداء تكليفه في أيام بلوغه وشبابه، لا يختلف عن اهتمامه بذلك في أيام رشده وكبر سنه، فلا يختلف حاله منذ التكليف إلى ساعة الاحتضار، فهنالك مغناطيس

١) سورة الصافات، الآية: ١٢٥.

محكم قوي في أعماق وجوده، قد جعل كل شيء في موضعه فرتّبه ترتيباً حسناً.

١٤٠ - إن الذي يكثر من فضول القول، أو الاستماع إلى ما لا نفع فيه، فإن هذا الكم الهائل من المعلومات التي ترد على مخزونه الفكري، يوجب له حالة من الازدحام الفكري، تُفقده التركيز في الموضوعات الحياتية اللازمة.

١٤١ - إن عمر الإنسان هو رأس ماله في هذه الحياة؛ ليحقق به سعادته الأبدية، فينبغي أن يحرص على وقته، كما يحرص على درهمه وديناره، ومن المؤسف أن البعض يعلل ما يقوم به - وقد يكون حراماً - بالقول: أنه يريد قتل وقته!

١٤٢ - إن البعض يجعل غاية جهده في مراقبة جوارحه بأن لا يقع في الحرام، ولكن لنتأمل في مضمون هذا الحديث القدسي: «**يَا ابنَ آدَمَ إِذَا وَجَدتَ قَسَاوَةً فِي قَلبِكَ، وَسُقماً فِي جِسمِكَ، وَنَقصاً فِي مَالِكَ، وَحَرِيمَةً فِي رِزقِكَ، فَاعلَم أَنَّكَ قَد تَكَلَّمتَ فِيمَا لَا يَعنِيكَ**»[١]. فنلاحظ أن هنالك أنواعاً من البلاء مترتبة على ما لا يتوقعه الإنسان من الأخطاء.

١٤٣ - إن المؤمن يحرص على تجنّب كل ما لا هدف منه، من فضول القول والنظر والاستماع، وقد ورد: «**إِيَّاكُمْ وَ فُضُولَ النَّظَرِ، فَإِنَّهُ يَبْذُرُ الْهَوَى، وَ يُوَلِّدُ الْغَفْلَةَ**»[٢]. والمقصود بفضول النظر: هو النظر الزائد الذي لا وجه له، وهو أعم من النظر المحرم، أي: ينبغي للمؤمن أن يتجنب عن كل ما يوجب الغفلة في نظره بل في كل حواسه؛ لأن النتيجة فيها واحدة.

١٤٤ - إن الاستماع إلى الغناء يسبب التشتت الفكري، ويوقع في

---

١) الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، ص٧٩.

٢) بحار الأنوار، ٦٩: ١٩٩.

الوهم والخيال، ويزيد من الشهوة. وهل يحسن بالعاقل أن يستغني عن وسائل الثقافة المتداولة هذه الأيام؛ ليسمع صوتاً مطرباً لا يزيده إلا بعداً عن الله تعالى.

١٤٥ - إن من موجبات التركيز واجتماع الفكر، هو: توحيد الهموم في الحياة، وجعل محور القلب هو الاهتمام بالقضايا التي خُلقنا لأجلها. ومن المعلوم أن الفكر يدور حول محور القلب، حقاً كان أو باطلاً. وإلا فإن الذي لا يملأ وجوده بهذا النور العظيم، فإنه سيبقى متعثراً في حياته.



١٤٦ - إن من أعظم المزالق في هذا العصر، هو: الافتتان بالوجوه، ولكن الذي يرى أن كل جميل في هذا الوجود هو مظهر لذلك الجمال المطلق، فهل تستهويه الشهوات الرخيصة المرتبطة بالوجوه الفانية!

١٤٧ - إن الانحراف الأخلاقي منشأ لانحرافات كثيرة، فقد يتحول صاحبه إلى موجود ممسوخ لا ينظر إلى حاضره ومستقبله، بل ولا إلى نفسه التي يصطحبها في قبره ومعاده، فهو لا يفكر إلا في إشباع رغباته في هذه الدنيا الفانية.

١٤٨ - إن من المسائل التي يُبتلى بها الشباب - وخاصة من هم على صلة مباشرة مع الجنس المخالف - مسألة الحب الشهوي في مقابل الحب الهادف الذي هو ميل النفس إلى جهة راجحة مع التعقل، فإذا تجاوز الميل مقتضيات العقل تحول إلى عشق مذموم. والعشق من الأمراض النفسية، تتولد من الطمع، وتموت بالوصال. وهو ما نراه في البعض الذي يندفع اندفاعاً غير متوازن نحو من يهواها؛ لمجرد أنه رأى فيها جمالاً ظاهرياً، فيعشقها وهو لا يعرف مدى استقامتها وكفؤيتها للاقتران بها أصلاً.

١٤٩ - إن العشق المنحرف الذي منشؤه حب الشمائل يبدأ

بالانجذاب والهيجان الشديد، ولكن ذلك الانجذاب يزول ما إن يتم الوصال، فجمال ذلك الوجه يصبح عنده مألوفاً بل مملولاً بتكرار النظر. أما الحب الحقيقي الذي يبقى ويسمو فهو حب المعاني، بأن تحب إنساناً - وإن كانت حليلة لك - لما فيه من الصفات الحسنة، ويبلغ الحب أوجه إذا تعلق بمصدر الجمال في هذا الوجود.

١٥٠ - إن المؤمن يترقى في درجات الكمال إلى درجة لا يميل معها إلى الحرام، وهذه أول درجات العصمة الصغرى، فيرى أكل الحرام كأنه أكل للجيفة، والخلوة مع الأجنبية كالسجن المطبق. وليُعلم في المقام أن يوسف عليه السلام كُتب له الخلود لا لأن السجن يمنعه من الوقوع في الحرام، بل لأنه صار أحب إليه من زليخا وزينتها وملكها حيث قال تعالى: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[1].

١٥١ - إن أصدق علامة للتوبة هو عدم الميل للحرام، وإلا فإن الذي له ميل إليه وهو يجاهد نفسه، فقد يضعف يوماً ويقع في المحذور؛ فينجرف نحو الهاوية، وذلك لأن مقتضيات التسافل موجودة.

١٥٢ - إن البعض له قدرة على التحكم في جوارحه، ولكن الأرقى من التحكم في الجوارح، هي المقدرة على التحكم في الجوانح، والأرقى من التحكم في الجوانح هو التحكم في الخيالات المتدافعة في النفس.

١٥٣ - كما أن الإنسان الذي لا يسعى إلى تطوير نفسه علمياً بالدراسة والمطالعة، فإنه يبقى يراوح في مكانه، فكذلك الأمر في الجانب السلوكي والروحي، فإن الأمر يحتاج إلى سعي حثيث لعدم الإرتداد أولاً ثم للتقدم ثانياً، وهذا السعي لا ينبغي أن يكون أقل من السعي في جانب التخزين العلمي.

١٥٤ - إن الإنسان بإمكانه - عن طريق التأمل والمثابرة في طلب

---

١) سورة يوسف، الآية: ٣٣.

العلم - أن يصل إلى درجات علمية عالية، ولكن ماذا عن الجانب الذي لا يُرى في وجوده وهي روحه التي بين جنبيه، فقد يعيش حالة الحسد الباطني، أو التكبر الباطني، أو العجب، وغير ذلك من الصفات التي قد لا يلتفت إليها هو نفسه فضلاً عن الآخرين.

١٥٥ - إن كل ما يرد على الجوارح ينتقش في القلب، ومن هنا ينبغي على المؤمن تحاشي فضول الكلام والنظر؛ لأن هذه الصور المتزاحمة تتوارد عليه على شكل خواطر يتفاعل معها باطنياً، فيفقد التركيز الذي يراد منه في حركة حياته. وكما قيل: الكلام فيما لا يعنيك يشغلك عما يعنيك، ولو اشتغلت فيما يعنيك تركت مالا يعنيك.

١٥٦ - إن من نعم الله تعالى على العبد أنه جعل له النظر والقول اختيارياً، فكما جعل له شفتين يطبقهما متى شاء، ويمنع نفسه من القول، وينشغل بالذكر الباطني الخفي دون أن يعلم به أحد، فكذلك جعل له جفنين وبإمكانه أن يطبقهما عند النظر، أضف إلى أنه بإمكانه أن ينظر إلى الشيء ضمن الأشياء الموجودة إجمالاً، وكأنه لا ينظر إليه بالتحديد ولا يحدّق فيه، وإنما هو يعطف نظره إلى كل الأشياء حوله بنظرة واحدة من غير تفحص وتدقيق في هذه وذاك، فلا ترتكز تلك الصورة في باطنه عندما يريد صرف نظره عنها.

١٥٧ - إن كفارة النظر إلى الحرام هو التعويض بما يقابل تلك النظرة، كالنظر إلى القرآن الكريم أو الكعبة، أو النظر إلى العالم أو الوالدين، وكذلك نظرة الاعتبار والتأمل في مظاهر الخلقة الخلّابة، ونظرة الرحمة للعاصين والمستضعفين. وليُعلم أن المبتلى بالنظر إلى الحرام إذا وصل إلى درجة الإدمان، فإنه يحتاج إلى عزمة من عزمات الملوك لتركه، وإلا فإنه سيبقى في أوحال الرذيلة إلى آخر عمره!

١٥٨ - إن الذي لا يتحكم في جوارحه: قولاً وسمعاً ونظراً، فإنه

محجوب عن النظر إلى ملكوت السموات والأرض، وتلقي المعارف الإلهية، كما روي عن الرسول الأكرمﷺ: «**ولولا تمزع قلوبكم، وتزيدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع**»[1]؛ فالسنن الإلهية في المثوبات والعقوبات ثابتة على مرّ العصور.

١٥٩ - إن الحريص على مراقبة جوارحه عندما يفاجأ بمنظر لا يجوز النظر إليه فإنه يغمض عينيه من تلقاء نفسه او يصرفه عنه، ويفرّ منه فراره من أمر مخيف؛ لعلمه بضرره وأثره في تلويث باطنه. وإن كان مضطراً لضرورة إلى النظر إلى أجنبية مثلاً، فإنه ينظر نظرة ساهية فلا يحدق بالنظر إليها، حتى لا يجرّه ذلك إلى المحظور.

١٦٠ - إن الشارع المقدس يجيز لمن يريد أن يتزوج فتاة أن ينظر إلى مفاتنها بحدودها الشرعية، بينما الذي ينظر إلى الحرام فليسأل نفسه: ما الهدف من هذه النظرة التي لا تزيده إلا عذاباً؟ وما الذي يجنيه من ورائها إلا الإثم؟ ومن المعلوم أن من ينظر إلى وجوه الحسان بدعوى النظرة البريئة فإنه مخادع لنفسه، حيث إن هنالك تفاعلات قهرية تحدث في البدن تجعله يتمنى اللقاء بمن نظر إلى جمالهن ولو بالحرام!

١٦١ - كل حرمان قهري من احتياج طبيعي هو جهاد قهري كسلب الأعزة مثلا، وكل حرمان اختياري من احتياج طبيعي هو جهاد اختياري كتقديم قربان لله تعالى بتعريض النفس للقتل في سبيله، وفي كلتا الحالتين قد يتحقق شيء من الكمال لصاحبه إن كان في طريق العبودية له. ولكن هناك فرق بينهما وهو أن الأول: فيه كاشفية الحب والعناية من الرب لعبده، أما الثاني: فإن فيه إرادة من العبد لبلوغ أعلى درجات القرب من مولاه.

١٦٢ - لقد صرنا في زمن انتشرت فيه موارد الفساد والضلال، انتشار

---

١) كنز العمال، ج١٥، ص٦٤٣.

النار في الهشيم، وليس هناك من سبيل لمواجهة أعاصير الشهوات والشبهات إلا بإحكام السيطرة على حدود مدينة الباطن، والمتمثلة بالحواس الخارجية، حتى لا يتسلل منها الى الباطن، أي: عدو غاشم يعيث فيها فساداً. وإلا فلا عذر لأحد بكثرة المثيرات بل إن عليه الحجة البالغة؛ لأنه من خلال تعريض نفسه لموجبات الفتنة والإثارة ألقى نفسه في التهلكة.

١٦٣ - إن عاشق الكمال لا بدّ أن يكون في نفسه بذور مستبطنة تحتاج إلى استنبات وسقي ورعاية، وبذلك تتحول هذه البذور إلى نبتة صغيرة، ثم إلى شجرة كبيرة تغدو باسقة وجميلة، فروعها في السماء وجذورها راسخة في الأعماق، فضلاً عن ثمارها الشهية. وهنا نتساءل ما هو سقي شجرة الباطن وكيف تتم رعايتها؟ والجواب: إن سقي الروح يتحقق من خلال الزاد القلبي، والفكري، والجوارحي. فبذكر الله تعالى وذكر أوليائه يتحقق الزاد الأول. وبالعلم الإشراقي والمكتسب يتحقق الثاني. وبالعمل والسعي في طاعة الإله المعبود يتحقق الثالث. وأما الرعاية فتكون بالمراقبة المستمرة؛ لئلا تأتي الرياح العاصفة فتقتلع الشجرة، وهي بعد لم ترسخ جذورها.

١٦٤ - لا بدّ للمؤمن من تقوية إرادته من خلال تغيير البواعث النفسية في داخله، وأنه كيف يعرّض نفسه لغضب الرب المعبود عند القيام بما لا يرضيه. وعليه فكلما عرض له محرم انبعث ذلك التحذير في باطنه، فيصرفه صرفاً لا تكلف فيه ولا معاناة؛ لأنه لا يريد أن يرتكب معصية تجعله ممقوتاً ممن يحب، أليس المحب مطيع لمن يحب؟!



همسات في العلاقة مع الأسرة

١ - إن البعض قد لا يكرم والديه ولا يجلّهما؛ لأنهما ليسا على درجة علمية أو عملية عالية، والحال بأن نفس الأبوّة والأمومة من العناوين المستلزمة للإكرام في نظر الشريعة، فالله تعالى لم يقيد إكرام الأبوين والإحسان إليهما بقيد الإيمان والتقوى، كما نفهم من قوله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[١]، فإذا كان الكفر لا يمنع من مصاحبة الأبوين بالمعروف، فكيف إذا كانا مؤمنين؟ وكيف إذا كانا من أهل البرّ والتقوى؟

٢ - إن اهتمام الأبوين بولدهما لهي صورة من صور الوفاء في الوجود؛ لأنهما ربيّا ولداً، وحاله كالصدفة المطبقة حيث لا يُعلم ما في جوفها، فهما يربيانه ولا يعلمان هل إنه سيبقى حياً، وهل سيكون وفياً لهما، وهل سينتفعان منه في كبر سنّهما؟ وقد يتفق في بعض الحالات علم الأبوين بأن الولد فيه من العلّة ما تجعله سيموت بعد حين، إلا أنهما لا يقصران في تربيته والعناية به. ومن هنا أمرنا بالمبالغة في حقهما، فالمؤمن موجود شكور، ومن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق.

٣ - عند موت الإنسان ينقطع عمله، فالدنيا دار عمل ولا حساب، والآخرة دار حساب ولا عمل، وكما ورد عن النبي الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «**إِذَا مَاتَ**

---

١) سورة لقمان، الآية: ١٥.

ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ، وَ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، وَ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ»[1]. فهنيئاً لمن انتقل من هذه الدنيا ولم تغلق ملفات أعماله، وذلك بأن جمع الله تعالى له من هذه الأمور الثلاث. ومن الممكن - تطبيقاً للحديث - أن يكون الولد عاقّا لوالديه في حياتهما، ثم يُكتب بارّاً لهما بعد موتهما، وذلك بالدعاء لهما.

٤ - إن الذي يرى التناقض في سلوك أبويه، حيث يظهر - الأب مثلاً - بمظهر التقوى، و من ثَم يخلو بحرام يطّلع عليه أولاده، فمن الممكن أن يخرجوا بسببه عن جادّة الإيمان، فيكون وزره عليهما، إلا إذا عصمه الله تعالى. وكم من المؤلم أن يرى الابن أباه يرتكب المنكر، فيريد أن ينهاه عن ذلك، ولكنّه يخاف من غضبه!

٥ - إن البعض يعتقد بأن دعوة الإسلام لأن تكون المرأة مربية لأولادها فلا ترى الرجال ولا يرونها، هي دعوة للتقوقع والتخلف! والحال أن الإسلام أكرم المرأة بأن جعلها في المنزل تدير شؤون أسرتها، وتكون قريبة - تربية وحناناً - بمن سيكونون جيل المستقبل، بينما نرى الرجل منشغلا في الكد من الصباح إلى المساء ليحضر لقمة العيش لعياله.

٦ - إن الله تعالى غفار لمن تاب وأناب، ولكن الإنسان قد لا يمكنه التعويض وتدارك ما فاته من الخسارة في سالف عمره! فلو أن إنساناً لم يحسن تربية ولده، وأوقعه من دون قصد في عالم الفساد والإفساد، فهذا وإن تاب ولكن الولد أصبح في عداد الموتى روحياً، فما الذي يعوض ذلك ؟!

٧ - إن الذي يعيش في وسط يغلب عليه التوتر، فمن الطبيعي أنه يتعود على الحدّة والخشونة لتكوّن له مزاجاً أولياً. والذي لا ينزع فتيل الانفجار من أسرته - وهي هذه الخشونة في التعامل - فإن حياته ستكون

---

١) عوالي اللئالي، ج١، ص٩٧.

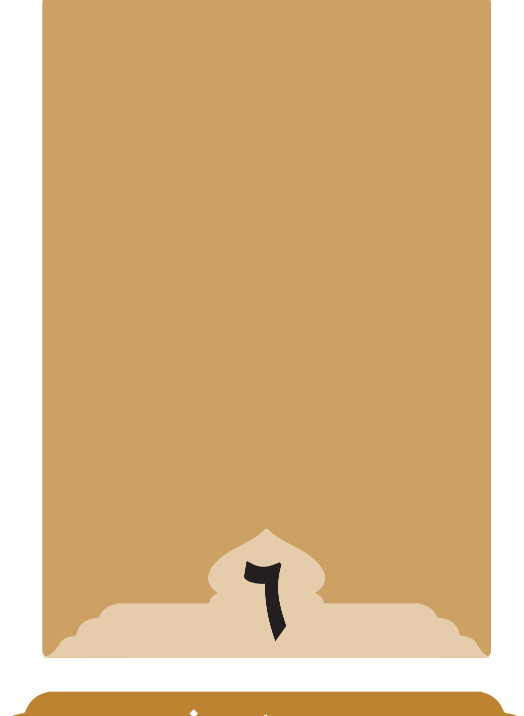
جحيماً، ومن الطبيعي أن ينعكس ذلك على عمله وتعامله مع الناس، فعندما نبحث عن الأسباب عند الإنسان المتوتر، نجد أن السبب الأول يكمن في عدم الانسجام مع أسرته وبيئته الحاضنة له؛ فينعكس ذلك على سلوكه الاجتماعي والوظيفي بشكل واضح.

٨- إن المؤمن يحترم الغير لأنه منسوب إلى الله تعالى إما بنسبة العبودية أو المخلوقية، ولما له أيضاً من الحق، فما من أحد تعاشره إلا وله حق عليك، فإن المؤمن ينسى إحسانه لغيره، ولكنه لا ينسى إحسان الغيرله. ومن اللافت هنا ما ورد من النهي عن الأئمة عليهم السلام في عدم تكليف من لا يستحق أن يكلف بشيء كسلاطين الجور مثلا، فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**لَا تُكَلِّفُوهُمْ قَضَاءَ الْحَوَائِجِ، فَيُكَلِّفُونَّا غَداً قَضَاءَ حَوَائِجِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

٩- من يتعامل بالخشونة مع الغير فإنه سيُبتلى بالوحدة حيث ينفضُّ الناس من حوله، وحتى الزوجة والأولاد لو أمكنهم الهرب لهربوا منه، وهل يبقى لمثل هذا الإنسان دور بعد ذلك في الحياة الاجتماعية.

١٠- من غير المقبول أن تكون أسرة المؤمن الرسالي متخلفة عن ركب التقوى، فالذي لا يؤثر على الأقربين من أرحامه وزوجته وولده، كيف يؤثر على الأبعدين؟ فإن الأهل والقريبين منه مقدّمون على غيرهم في الهداية والإرشاد.

١) مشكاة الأنوار، ص٣١٦.



همسات في
العلاقة مع المجتمع

١ - إن من موجبات الخذلان الإلهي، هو: الأنس مع الغافلين والشوق لمجالستهم. ولهذا فإن المؤمن عندما يضطر لمعاشرة هؤلاء، فإنه يسعى أن يكون معهم ببدنه لا بروحه تجنباً لسلبياتهم، بل إنه من الأَولى أن يتحاشى الجلوس معهم؛ لئلا يتورط بالتأثر اللاشعوري بصفاتهم.

٢ - يجب على المؤمن أن يُحسِن مراقبة نفسه في كل أموره - صغيرها وكبيرها - فلا يحتقر ذنباً فلعله هو المهلك، ولا يحتقر طاعة فلعلها هي المنجية، ولا يحتقر عبداً فلعله هو الولي الذي يغضب الله تعالى لغضبه. وهذا هو منشأ الاحتياط في كل سلوكيات العبد المؤمن مع كل ما حوله.

٣ - إن الله تعالى يأخذ بيد العبد الذي يسعى في قضاء حوائج إخوانه، ويسدده بالملائكة المسددة، فإن رحمة العبد لأخيه الإنسان شُعبة من رحمة الخالق بعبيده، بل رحمة المخلوق إنما هو تجلّ لرحمة خالقه، وهو تعالى سريع الإثابة لمن تحلّى بصفة من أهم صفاته، وهي الرحمة التي خلق بها الوجود برمته!

٤ - إن الإنسان مدنيّ بالطبع ولا يمكنه أن يستغني عن غيره، حيث المصالح المتشابكة المستلزمة لاحتياج الناس بعضهم إلى بعض. فليس المطلوب عدم الاحتياج إلى الغير، وإنما المطلوب هو عدم الركون إلى عالم الأسباب الظاهرية، والغفلة عن المُسبِّب الحقيقي في هذا الوجود.

ولهذا فإن الله تعالى يعبّر عن نفسه بأنه هو الزارع؛ لأن الإنبات مستند إليه وإن كانت مقدماته مستندة إلى البشر، أما العبد فدوره فقط أن يحقق ما لو وقع عليه التسبيب الإلهي، لوقع المسبَّب خارجاً.

٥ - إن الذي يعلّق قلبه على مخلوق من المخلوقين في قضاء حوائجه، ويغفل عن خالقه وهو مسبِّب الأسباب، فإنه يُبتلى بالحرمان والخذلان والانكسار من حيث لا يُحتسب، حتى يُظهِر له ربّ العالمين أن أزمّة الأمور طرّاً بيده والكل مستمدة من مدده، وكما في هذا الحديث القدسي: «**لَأُقَطِّعَنَّ أَمَلَ كُلِّ مُؤَمِّلٍ غَيْرِي**»[١].

٦ - علينا أن نفرّق بين الحسن الفعلي والحسن الفاعلي، وهذا بدوره يوجب الحذر في تقييم الخلق، فلا ينبغي التسرّع في الحكم على أحد بحسب ظاهره. فرُبّ مؤمن زلّت قدمه ووقع في بعض المعاصي، ولكنه يملك قلباً طيباً شفيقاً على الخلق مثلاً. وقد يكون آخر له باطن خبيث، ويقوم ببعض أعمال الخير. ومن هنا ورد: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُ الْعَبْدَ وَ يُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَ يُبْغِضُ الْعَبْدَ وَ يُحِبُّ عَمَلَه**»[٢].

٧ - من الصفات الإلهية التي يحب المؤمن أن يتصف به هي صفة الستر والمغفرة، فلو أساء إليه أحد ثم اعتذر فإنه لا يتباطأ في قبول عذره، وخاصة إذا كانت الإساءة عن سهو وبغير قصد. فإن الله تعالى يحب الستر والمغفرة، وهو الذي إذا أقبل عليه عبده في جلسة توبة واحدة، فإنه بذلك يتجاوز عن كل ما مضى من ذنوبه ومعاصيه!

٨ - إذا كان النبي صلى الله عليه وآله بهذه الدرجة العالية من العفو والتسامح عندما دخل مكة فاتحاً، حيث عفا عن كفار قريش مع ما تحمّله منهم من الأذى النفسي والجسدي الذي تعرض له هو وأصحابه، فكيف برب العالمين الغفور الرحيم الذي سبقت رحمته غضبه؟ وهو الذي كان

---

١) الكافي، ج٢، ص٦٦.
٢) الأمالي، (للشيخ الطوسى)، ص٤١١.

يوصي الأنبياء باللين في القول عند تعاملهم مع الطواغيت، كما في قوله تعالى لهارون وموسى عند ذهابهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[1].

٩ - إن المؤمن قد لا يقع في الآثام ولكنه يقع في الهفوات، وهي الأمور المباحة التي لا تفيده لدنياه ولا لآخرته، كالأنس مع الغافلين، وفضول النظروالقول. ومن المعلوم أن ذلك من موجبات قسوة القلب، وإعراض الله تعالى عنه، وأثره هو أن لا يجد العبد في نفسه ميلاً إلى الدعاء، ولو ترادفت عليه البلاءات!

١٠ - من المعلوم أن الأجر المترتب على كفالة اليتيم، هو: أن يكون صاحبه بجوار النبي الأكرمﷺ، كما ورد عنهﷺ: «**أَنَا وَ كَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ**»[2] وقرن بين إصبعيه الوسطى والسبابة. ولكن لا يخفى أن هناك فرقاً بين إعانة اليتيم وكفالته. فالكفالة هي قيام الكفيل بما يشبه دور الأب، وذلك بسد ما يعانيه اليتيم من الفراغ من جميع جهاته: نفسياً ومالياً وإيمانياً، حتى يبلغ مرحلة الرشد. وهذه درجة عظيمة؛ لأن في هذه الكفالة يتجلى الإخلاص لمن هو أجنبي نسَباً عن المكفول؛ لأنها تخلو من الدواعي الفطرية والإنّيّة التي تكون للأب النسَبي، وفيها رضا للرب الذي يرضيه سدّ الفراغ الذي تركه فقد الأب الذي قبضه الله تعالى إليه، في وقت لم يكتمل رشد أولاده.

١١ - إن الطعام عملية طبيعية، ولكن الإطعام عملية معنوية؛ لأن فيه إدخالا للسرور وتشريف وتكريم وإظهار للمحبة من المؤمن تجاه إخوانه المؤمنين، ومن هنا فقد ورد: «**قُوتُ الأَجسَادِ الطَعَامُ، وَقُوتُ الأَروَاحِ الإِطعَامُ**»[3].

١) سورة طه، الآية ٤٤.
٢) بحار الأنوار، ج ٣٥: ١٧.
٣) بحار الأنوار، ٧٢: ٤٥٦.

١٢ - إن السلام ليس مجرد لفظة يقولها المؤمن لأخيه بلسانه، إذ لا وزن لهذا القول إذا كان المسلّم يحمل في باطنه الحقد والكره أو الغدر تجاه من سلّم عليه. بل إن له حقيقة ومعنى، وهو أنه عندما تقول لأخيك: «السلام عليكم»، فإنك بهذا تعلن موقف السِّلم والمحبة له في حضوره وغيبته، ومن هنا ورد هذا التأكيد على إفشاء السلام بين المؤمنين.

١٣ - إن من النعم الكبرى أن يُوفّق المؤمن لرفقة صالحة يشدّ بعضهم أزر بعض، فإنها من الأمور التي تعينه على السير إلى الله تعالى. ومن هنا نلاحظ في سورة العصر هذه الخصوصية للجماعة المؤمنة، الذين يتواصون بالحق والصبر بعد عمل الصالحات، حيث استثناهم الله تعالى من قائمة الخاسرين.

١٤ - إن البعض يأنس بمرافقة المؤمنين ويعيش حالة الارتياح لذلك، ولكن ينبغي على العبد عندما يكون ضمن مجموعة مؤمنة أن يستفيد من صحبته لهم، فالمؤمنون كأنواع الورود، حيث إن لكل مؤمن رائحته، وكم من الجميل للإنسان عندما يرافق جمعاً من المؤمنين، أن يأخذ من كل مؤمن خير ما فيه من الصفات.

١٥ - إن من نعم الله تعالى على عبده هو التوفيق لرفقة الأبرار، فإن الإنسان مدنيّ بالطبع فيأنس ببني جنسه ولا يتحمل الوحدة في عيشته، إلا إذا صار ممن صار أنسه بالله تعالى كأمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول: «**لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً وَ لَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً**»[1]. وليُعلم أن المؤمن إذا لم يلجأ إلى صحبة مجموعة ايمانية مهذبة، فإنه إما أن يصاب بعقد نفسية لإحساسه بالوحشة الداخلية، أو أنه سيبتلى بمرافقة غير الأبرار، وقد يؤدي ذلك إلى انحرافه عن الطريق.

---

١) نهج البلاغة، ص٤٠٩.

١٦ - لو ابتلي المؤمن بمعاشرة غير المؤمنين في مجال العمل أو غيره، فليضع حرّاساً على قلبه، فلئن كانت المعاشرة الخارجية أمراً إجبارياً لا مفرّ منه، فإن الأنس القلبي بهم أمر مرفوض. فالمؤمن لا يأنس إلا بالله تعالى أو بأوليائه، ومن هنا فإن من صور العذاب النفسي للمؤمن أن يضطر لمعاشرة من لا ينسجم معهم أبداً - فقداً للسنخيّة الإيمانية معهم - ولهذا فإن المؤمن يدعو بقوله: «**اللهُمَ لَا تُحْوِجْنِي إِلَى لِئَامِ خَلْقِك**»[١].

١٧ - إن المؤمن لا يعيش حالة التذبذب في سلوكه مع الناس؛ ليكون تارة مقبلاً وأخرى مدبراً بلا وجه أو دليل، بل يتعامل مع الناس بكل أريحيّة واتّزان، كما كان النبي صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى عليهم السلام في تعاملهم مع الخلق، حيث كانوا يعيشون حالة واحدة في الخلوة والجلوة، وفي الحرب والسلم، وعند الرضا والغضب. وهذه الحالة متمثلة في العمل بما تقتضيه العبودية لله تعالى في كل الحالات ومع كل أفراد البشر.

١٨ - إن المؤمن له من الرفق ما له في التعامل مع الآخرين، طويل البال في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر - وخاصة مع أهل المعاصي - بعيد عن أسلوب الزجر والتعنيف، فإن ذلك لا يزيد الخلق إلا فراراً.

١٩ - من الضروري أن نسعى في هذه الدنيا سعياً حثيثاً لما يوجب لنا سعادة الأبد قبل فوات الأوان، ولو بقي على العبد من الذنوب ما يحتاج إلى تمحيص فإنه سيبتلى بسكرات الموت. فطوبى لمن صفّى حسابه مع الخلق والخالق؛ لئلا يحتاج إلى مثل هذه المكفرات الثقيلة على نفسه!

٢٠ - إن من صور اللغو الإصرار على الجدال المذموم، وذلك بالخوض في جدال من لا يحب الطرف الآخر الاستماع إليه، فيصرّ كل واحد منهما على رأيه دون الوصول إلى نتيجة في البين، وهذا الأمر لا يليق بالمؤمن، وليس إلا هدراً للوقت والطاقة بلا فائدة. وعليه فإن الذي يريد أن يدافع

---

١) زاد المعاد، ص ٤٠٣.

عن خط أهل البيت عليهم السلام، لا بدَّ أن يحرز القابلية في الطرف المقابل وأنه باحث عن الحقيقة، ومسلّم لحكميّة القرآن وما ثبت من سنة نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله.

٢١ - ينبغي مراعاة الخصوصية في طرح المعارف الإلهية، فليس كل ما يُعرف يقال، فلو وجدت طالبا للمعرفة اكتشِفْ أولاً صدق رغبته ثم أعطه المزيد، وإلا فمن الظلم للحكمة أن تعطيها لغير أهلها!

٢٢ - هنالك بعض الأمور يحب الله تعالى أن ينشغل بها المؤمن، وهو من الأنس الراجح والذي يثاب عليه فيما لو نوى فعلها تقرباً لله تعالى، ومنها: إدخال السرور على الزوجة، ومفاكهة الإخوان.

٢٣ - يتحسّر البعض لكونه متخلفاً عن ركب الخيرات، فمن المناسب أن يكثر المؤمن السؤال من الله تعالى، أن يُجري الخير على يديه للناس، وذلك بأي سبيل يقدّره ويسهّله؛ فإن الخير بيده. وليُعلم أن الخير ليس محصوراً في الإنفاق المادي، فإن البعض قد يعظ شخصاً موعظة عابرة، وإذا به يقلب بها كيانه، ويفتح قلبه على الهدى، فيصير منشأ لهداية الآلاف إن لم يكن الملايين إلى يوم القيامة.

٢٤ - إن للناس في قلب المؤمن منازل، وهي ليست بحسب النسب، أو العلاقات الأرضية الأخرى، وإنما بحسب قربهم من الله تعالى. ولا يبلغ الإنسان حقيقة الإيمان إلا إذا وصل إلى هذه الدرجة العالية، وهو خلوّ النفس من أي شائبة من شوائب الالتفات إلى غير الله تعالى، وكما يقال - بكلمة جامعة - بأن التوحيد هو: أن لا ترى أحداً في الوجود إلا الله تعالى.

٢٥ - إن الذي يقرأ ويتأمل في قصص الأنبياء، تتصاغر في عينه كل عناصر القوى الكبرى المستكبرة، بل تبدو عنده كأقزام عاجزة؛ لأنه يعلم بأن المسيطر والمهيمن على هذه القوى برمتها هو رب العالمين الذي أهلك ملوكاً واستخلف آخرين.

٢٦ - إن الذي يريد أن يؤثّر فيمن حوله، ويعالج ما يراه من السلبيات، لا بدّ أن يكون على مستوى من المعرفة والفقه في كيفية التعامل مع الخلق وخاصة العصاة منهم، إذ ترى البعض يريد أن يصلح، ولكنه يزيد الأمر سوءاً فيفسد أكثر مما يصلح، وعليه إذا أراد ان يقوم بواجبه من النهي عن المنكر، فعليه أن يتخذ هذا الأسلوب في الإصلاح: استعمال الحلم، والاحتواء النفسي، والتحريك العقلي والقلبي، والتوسل بالله تعالى.

٢٧ - يجب على المؤمن أن يحذر في تعامله مع الآخرين، ويجنّب نفسه القيام بأي حركة كاسرة لقلب ذي روح، فإن الرب له بالمرصاد، وسريع الانتقام لعباده وخاصة إذا كان المنكسر ممن له حظوة عند ربه.



٢٨ - إن من الأمور التي تعين المؤمن في طريقه إلى الله تعالى: اتخاذ الرفقة الصالحة المذكرة بالله تعالى، والمؤثرة في اكتساب السلوك الحسن. وكذلك الطلب الحثيث من الله تعالى والتوسل بأوليائه، لأن يبارك في سعيه ويفتح له أبواب الوفادة عليه.

٢٩ - يجب على المؤمن الحذر من قطاع الطريق، وذوي الاتجاهات الباطلة، فإن الدخلاء كثيرون، نظراً لعدم وجود مقاييس ثابتة فيما يتعلق بالتحليل والنظر في عالم الأنفس، خلافا للتحليل في العالم المادي حيث المقاييس فيها ثابتة؛ فالحرارة لا تتخلف عن النار مثلا.

٣٠ - إن البعض لا يحب أن تفوته فرصة في عمل الخير، ولكن الذي يحفز الآخرين لعمل الخير معه فان له أجره وأجر العاملين به. ولك أن تتصور الأجر العظيم الذي يصل الى من سنّ سنة حسنة فتصل إليه بركاتها الى يوم القيامة؟

٣١ - لا ينبغي أن يخلو المؤمن من لطافة في نفسه فإنه لو أخرج بلطيف من القول همّاً عن قلب مؤمن وأعاده إلى توازنه، فإن عمله هذا لا يقل

أجراً عن المناجاة والبكاء بين يدي المولى الجليل. ومن صور إزالة الهم والغم عن المؤمن هي الإعانة على قضاء حاجة أوتفريج كربة، فيدخر الله تعالى له أجراً ويدفع عنه البلاء دفعاً. وإن من أفضل صور الإعانة إنقاذ مؤمن من غضب الله تعالى، بصرفه عن حرام عاكف عليه.

٣٢ - إن من موجبات سرور المؤمن المبتلى بضائقة مالية، أن يقرضه أخوه قرضاً حسناً. ومن المعلوم أن القرض أفضل من الصدقة؛ لأنه يعين المؤمن على السعي بنفسه في مناكب الأرض، والاستغناء عن المسألة.

٣٣ - إن العقل الجماعي هو الذي يسوق الأفراد والأمم عادة، ومن المعلوم أن الأكثرية - كما وصفهم القرآن الكريم - غير عاقلة، فينبغي للمرء تحكيم العقل والشرع، وعدم تجميد الفكر بالاتباع الأعمى وخاصة مع غلبة الجو الجماعي كما هو المشاهد هذه الأيام.

٣٤ - إن على الانسان الذي يريد أن يعيش في المجتمع الذي يغلب عليه الجهل والغفلة أن يكون واقعياً، فليس الحل في الفرار والعزلة، وإلا فمن الطبيعي أن تكون الخلوة أشهى للمؤمن الذي يريد أن يناجي ربه، ولكن ليس ذلك هو المطلوب، والعبد مأمور بأن يفعل ما يريد مولاه، لا ما يريد هو.

٣٥ - لا بدّ في تعاملنا مع المجتمع من حالة الاتزان، فلا مقاطعة محضة ولا اختلاط اندماجي تأثري! وإلا كيف يمكن للإنسان أن يقاطع أبويه، والحال أن القرآن الكريم أمر ببرهما ولو كانا كافرين ملحدين؟! أو كيف يمكنه أن يقاطع زوجته، وهي أم أولاده؟!، فمهما بلغت من السوء، فإنه يبقى لها حق عظيم عليه وينبغي عليه أن يتحملها لإبقاء العش الزوجي سليماً قائماً.

٣٦ - لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، ولكن إذا أردنا أن نعاشر الناس

علينا أن نلتفت بأن خلائق السفهاء تعدي، فنحن مأمورون بأن لا نختلط ذلك الاختلاط الاندماجي التأثري، فمثلاً بر الوالدين لا يعني بالضرورة الخوض في باطلهم في كل زيارة لهما وكذلك حسن المعاشرة للزوجة لا يعني مشاركتها فيما لا يرضي الله تعالى قولاً وفعلاً.

٣٧ - إن العيش في أجواء الغافلين والفاسقين من موجبات التسافل والتشبه بهم، ولهذا إذا كنت مجبوراً على مجالستهم حاول أن تعيش في الناس ولا تعيش معهم، فينبغي أن نختار البِطانة الصالحة، ممن يذكرك بالله تعالى رؤيتهم، ويزيد في علمك منطقهم.

٣٨ - إن المؤمن من أبخل الناس بوقته، فإذا أراد أن يزور أحداً، يرى أنه يقتطع جزءاً من وجوده ويقدمه لأخيه المؤمن. ولهذا فهو يحدد من يزور، ومدة الزيارة ووقتها، وماذا يقول فيها، وخاصة إذا كانت الزيارة في ليلة مباركة كليلة الجمعة مثلاً، أو في ساعة صحوة ونشاط للعبادة. فينبغي على المؤمن أن يكون على مستوى من إدارة المجالس واستيعاب أجواء الغافلين، فبدلاً من أن تكون منفعلاً وتعطيهم سمعك، بادر أنت لتغيير مجرى الحديث بإلقاء الموعظة والحكمة الحسنة!

٣٩ - إن بعض المعاصي لا يمكن أن ترتفع آثارها بمجرد إظهار الندم والبكاء، بل ينبغي على صاحبها أن يعوض عن كل تقصير في حق الخالق والمخلوق، ويحاول أن يصلح مسيرة الذين كان سبباً في انحرافهم، وإلا فمجرد البكاء لا يغير شيئاً وفي ذمته حقوق الخلق، إما مالاً أو تسبيباً في انحراف وهو الأهم.

٤٠ - ينبغي للمؤمن أن يتعلم فقه التعامل مع الآخرين - وخاصة في حالات الخصام - حتى لا يقع فيما يغضب الله تعالى من المنكرات القولية أو الفعلية. وليعلم في المقام أن من الطبيعي اختلاف الناس في أمزجتهم فمن الخطأ أن يلزم الإنسان الآخرين بمزاجه، وكأن مزاجه هو المقياس

في الصحة، والذي ينبغي أن يجري عليه الجميع!.

٤١ - إن السبيل لتغيير ما يعتقده إنسان من أفكار أو عقائد باطلة، هو تحريك ذهنه ليعيد النظر في المقدمات الباطلة، التي كان نتيجتها ذلك الاعتقاد الباطل. ولو عمل الانسان بهذه القاعدة لما ابتُلي باتباع من سبقه من الآباء جهلاً أو عناداً.

٤٢ - إن الخصومة قد تبدأ بخلاف مزاجي، أو فكري، أو عقائدي، ثم تتحول إلى عداوة شخصية وميل للانتقام من الطرف المقابل، يترجمه قولاً: بالغيبة، والبهتان، والنميمة، وإن أمكنه فعلاً بالتعدي عليه باليد، أو إزالته من الوجود! وليُعلم أن الذي يعيش جو الخصومة مع الغير بأي داع كان، فإنه سيكون مضطرباً ومكتئباً في نفسه ومشتتاً في ذهنه، وفاقداً للإقبال والتوجه في أعماله وعبادته، وتجتمع فيه الكثير من خصال الشر، ولذا ورد: «**لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ مَنْ خَاصَمَ!**»[١].

٤٣ - إن منشأ الخصومة هو أننا نتعامل مع الأشخاص على أساس الصور المختزنة في أذهاننا، والتي قد لا تطابق الواقع، ومن هنا لا بدّ علينا أن نعيش حالة الموضوعية والنزاهة في تقييم الآخرين، مستمدين العون من الله تعالى بأن يرينا الأشياء كما هي.

٤٤ - إن الذي يكثر من الخصومة مع الآخرين يُبتلى بالطرد الاجتماعي، والحال أنه «**لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَ لَا يُؤْلَفُ**»[٢]، والإنسان مدني بطبعه، ويريد أن يغير ويؤثر في المحيط الذي يعيش فيه. وليس معنى ذلك السكوت عن الباطل ولا مشاركة أهل الباطل في باطلهم.

٤٥ - إن المؤمن قد يقع في خصومة دفاعاً عن الحق، ولكن ينبغي أن يغضب بمقدار ما غضب الله تعالى لنفسه، ومن غضب لله تعالى، انتصر

١) نهج البلاغة، ص ٥٢٨.
٢) الكافي، ج٢، ص١٠٢.

الله تعالى له. فإن كثيراً من حالات الغضب يكون منشؤها الدفاع عن الذات أو التنفيس عنه، وإن أبدى صاحبه خلاف ذلك! فليسأل نفسه: إن كان هو يريد الإصلاح والصلاح للطرف المقابل، فإن ذلك قد لا يكون بالغضب، وإن كان كلامه حقاً، فإنه بأسلوبه الخشن قد يضيع الحق الذي كان معه!

٤٦ - إن المؤمن يحب الخير للغير، ويحب أن يكون بنفسه سبباً لذلك، وأن تقضى حوائج الناس على يديه؛ فلسان حاله ومقاله كما في دعاء مكارم الأخلاق:«وَ أَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدِيَ الْخَيْرَ»[١].

٤٧ - إذا قصدك مؤمن لقضاء حاجة، فاشكر الله تعالى على هذه النعمة، وإلا فإن الذي يستنكف عن قضاء حوائج إخوانه المؤمنين، سيحوّل الله تعالى قضاء تلك الحاجة الى غيره، وكأنه قد استبدل به غيره!

٤٨ - إن الله تعالى يحب أن يراك ساعياً في قضاء حوائج إخوانك المؤمنين، سواء قُضيت الحاجة أم لا، وأنت مأجور على كل حال.

٤٩ - على المؤمن عندما يراجعه أهل الحوائج أن يراعي منازلهم وأحوالهم، تجنباً لإذلالهم، فيفرق بين من نشأ على الفقر، وبين من تفاجأ به، وخاصة لو كان مؤمناً افتقر في سبيل الله تعالى، فهذا له شأن عظيم عند الله تعالى.

٥٠ - لا ينبغي مواجهة أهل الحوائج مواجهة غليظة وقاسية، تزيده هماً وذلة، فإن لم يكن بالإمكان قضاء حاجته، فليدع الله تعالى له أن يفرج من همه وليدله على من يمكنه قضاء حاجته.

٥١ - إن معنى حسن الخلق هو تنوير الباطن، وتجميل الملكات، والقضاء على الرذائل الباطنية، وليس هو ذلك المعنى الشائع بين الناس

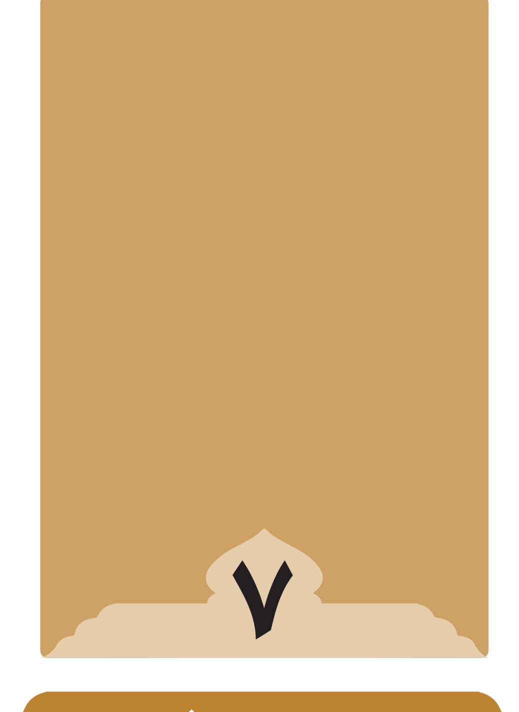
١) الصحيفة السجادية، ص٩٢.

من البشاشة وكثرة المزاح والتهريج واللغو في القول.

٥٢ - إن الإنسان في بعض الحالات قد يكون معذورا لو تعامل بشيء من الحدّة والخشونة، كالمرضى أو كبار السن. ولكن البعض يظلم من دونه كالمستضعفين من الخدم والغرباء وغيرهم بدافع التكبر والاحتقار، والحال أن الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم وسريع الانتقام لهم.

٥٣ - هنالك قوم توجهوا للجانب العبادي وعاشوا حياة الرهبنة، وخاصة إذا كانت فيها خلوة جميلة - كما وقع للرهبان - حيث الطبيعة الجميلة وخدمة الغير لهم، وهناك قوم توجهوا للعمل الاجتماعي، والحال بأن المطلوب هو الجمع بين العالمين.

٥٤ - إن مقياس الإعجاب والاقتداء بأي إنسان إنما يكون بمدى تطبيقه لسنة النبي وآله عليهم السلام، فلو وجدت إنساناً تصدر منه الأعاجيب من الأفعال والأخبار، ولكنه لا يعمل بسنة أهل البيت عليهم السلام في حمل هموم الآخرين والحرص على هدايتهم، فهذا الإنسان ليس أهلاً بأن يُعجب به أو يقتدى بأعماله، وأعماله الصالحة - لو صدق أنها كذلك - إنما هي لنفسه. ويمكن القول بأن الفرق بين العابد والعالم بأن الأول كالغريق همّه أن ينقذ نفسه ويصل إلى الشاطئ، بينما العالم فهو صاحب سفينة يريد أن يأخذ بأيدي الغير إلى برّ الأمان.



٧

همسات في
العلاقة مع الشيطان

١ - إن العبد الذي يعتقد بهاتين الحقيقتين تتولد عنده حركة قهرية في السير نحو مولاه، فالأولى: وجود عدو يضمر له العداوة والشر ومتمكن من إيذائه. والثانية: وجود حصن يمكنه اللجوء إليه. فمن استشعر حقيقة وجود العدو وهو الشيطان وجنوده، وحقيقة الحصن المنيع وهو الرب وأولياؤه؛ فإنه لا يمكنه إلا الفرار والهرب إلى أن يصل إلى مأمنه وهو ذلك الحصن المنيع.

٢ - إن كيد الشيطان ضعيف كما يصفه القرآن الكريم، وذلك لوجهين: الأول: إن الشيطان - على تمرده - عبدٌ لله تعالى، وهو قادر على صرف كيده عن عبده المؤمن، كما صرفه عن أوليائه طوال التاريخ. والثاني: إن عمله لا يتعدى الوسوسة والتزيين، ولا سلطة له على بني آدم بمعنى الإلزام والتحريك الخارجي، لكي يتذرع العبد بعدها بسلب الاختيار.

٣ - إن الشيطان لحِقته اللعنة الأبدية منذ الأزل، وسقط من عين الرحمن لمجرد معصية واحدة. فلنحذر هذا السقوط، ولنضع نصب أعيننا هذا الشعار: «**لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ وَ لَكِنِ انْظُرْ إِلَى مَنْ عَصَيْتَ**»[١]. وقد ورد في الحديث: «**إِنَ الرَّجُلَ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا النَّاسَ، يَهْوِي بِهَا أَبْعَدَ مِنَ الثُّرَيَّا**»[٢].

١) الأمالي (للطوسي)، ص٥٢٨.
٢) بحار الأنوار، ج٦٩، ص٢٥٧.

٤ - إن الشيطان في بدء الخليقة أقسم بعزة الرحمن أن يغوي الخلق أجمعين، ولو كان الشيطان عاجزاً عن تنفيذ قسمه، لنقض القرآن الكريم دعواه ونفاه، وخاصة مع الالتفات إلى استثناء المخلَصين. وعليه نقول: أَوَليس هذا القسم يُعدّ أمراً مخيفاً؟ وخاصة أنه نجح في العمل بقسَمه خلال هذه العصور المتمادية بعد خلقة آدم عليه السلام، حيث حرّف عن مسيرة العبودية ما لا يُعدّ ولا يُحصى من الخلق.

٥ - إن الشيطان متربص بالمؤمن الذي ينوي فعل الخير، ويعمل على تثبيط عزيمته. وعلى العبد معاندته ودفعه بذكر الله تعالى من خلال البسملة وغيرها، واستحضار نية القربة لله تعالى في كل حركاته. ومن المعلوم أن استمرار العبد في معاندة الشيطان قد يوجب له اليأس فيكفّ عن غريمه، فإن أولياء الله تعالى تخلصوا من الشيطان؛ لأن ربّهم أدخلهم في درعه الحصينة، ولكن بعد إثبات الصدق والإصرار في المجاهدة.

٦ - إن من المؤسف أن يصل البعض إلى درجة من التسافل والانحطاط، فيكون رهناً لإشارة الشيطان اللعين الذي يحركه حيثما وكيفما يريد. والقرآن الكريم يشير إلى هذه الطائفة وكيف أن الشيطان يركبهم كما تُركب الدابة، إذ قال تعالى: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾[1]، والمعنى وضع اللجام في الحنك الأسفل - كناية عن الاستيلاء - أَوَ هل هناك تحقير أعظم من ذلك؟!

٧ - إن شأن الفيوضات المعنوية كشأن الأنهار التي تتفجر بعد الطَّرق عليها، فقد يضرب الإنسان تلك الصخرة مائة ضربة فتصير قابلة لتفجر الينابيع منها، ولكنه يبخل بالضربة الأخيرة فيحرم نفسه من بركاتها! إن الشيطان ينظر إلى صخرة النفس، فإذا رآها على وشك التشقق وانفجار

---

١) سورة الإسراء، الآية: ٦٢.

الينابيع الجارية منها، فإنه يأخذ على يد صاحبه بكل ما أمكنه ليمنعه من ذلك. فالعاقل ينتبه لهذه الضربة الأخيرة، فلعلّ ما يكتسبه طوال السنة بمثابة الطَّرقات المهيئة، وتكون الضربة الفالقة لها متمثلة في ليلة القدر مثلاً.

٨ - إن الشياطين تكيد كيداً مضاعفاً للمؤمن، وخاصة لمن همَّ في السفر إلى الله تعالى، حيث إن لها شباكها المناسبة لكل فرد: فمنهم من يغويه بالشهوة وحب النساء، ومنهم بالغضب، ومنهم بالجاه والسلطان. وهذا هو السر في أننا نرى طالبي الكمال كثيرين، ولكن الواصلين منهم أقلّ من القليل. والسبب في ذلك أن أغلب الناس الذين يسلكون طريق القرب الإلهي، يواجهون العقبات التي تصدهم عن السبيل، ومن ثم فإن الشيطان يأسرهم ويجعلهم في قبضته وهم في أوائل الطريق!

٩ - من الضروري أن يستكشف الإنسان مواطن الضعف في نفسه، إذ إن لكل إنسان ثغرة ضعف ينفذ من خلالها الشيطان، ومن تلك المنافذ: النساء، الغضب، المال، الشهرة. ولهذا ترى أن البعض له مقاومة جيدة أمام النساء ولكنه يسقط في فتنة المال، فيمنع الحق الواجب أو يتجاوز على مال الغير، أو يسقط عند الغضب - وهذا هو مدخل الشيطان عند أغلب المؤمنين - فيرتكب القبيح من الأمور!

١٠ - لا يخفى دور الشيطان اللعين في تثبيط البعض ممّن تورط بالتوغل في المعاصي والذنوب فيما سلف من حياته، إذ إنه يعمل على تذكيرهم بماضيهم الأسود؛ ليبعث في نفوسهم اليأس من رحمة الله تعالى، ويصدّهم عن التحرك لتغيير واقعهم المرير، ولتعويض ما ضاع من العمر في الأباطيل، فما من أمر بأشد على الشياطين من أن يفرّ الإنسان خارجاً من قبضته. ومن المعلوم أن اليأس من الكبائر، شأنه في ذلك شأن سائر الكبائر والموبقات الأخرى، بل يجب على مثل هذا العاصي

العزم على التوبة النصوح، والاستمداد الغيبي من الربّ التوّاب. وليعلم أن ذنبه ليس بأعظم من ذنب السحرة الذين كانوا يمتهنون السحر الذي هو من الكبائر، فضلاً عن جرأتهم في مواجهة نبي الله موسى عليه السلام، ومع ذلك فإن الله تعالى قبِل توبتهم، وها نحن في المناجاة نقول: «**يَا قَابِلَ السَّحَرَةِ اقْبَلْنِي**»[1]!

١١ - إن الاستعاذة الحقيقية تلازم الحركة والفرار، وإلا فإن الذي يستعيذ بالله تعالى من شر الشيطان ومن شر نفسه، ولا يقوم بحركة واقعية في الالتجاء اليه، فإنه يعدّ مستهزئاً بنفسه. فلو أن إنساناً كان تائهاً في صحراء وفيها حيوان مفترس، وأمامه حصن منيع ينجيه، ولكنه اكتفى بنداء صاحب الحصن والاستغاثة به ولم يتحرك من مكانه متكاسلاً، فماذا سيكون مصيره، غير صيرورته فريسة لذلك المفترس!

١٢ - كما أن الشيطان قادر على أن يلقي في روع الإنسان هواجس الشر، فإن ربّ العالمين أيضاً قادر على أن يلقي في روعه ملهمات الخير، إما إلقاء مباشراً أو عبر ملائكته. وذلك لا ينافي حرية التكليف؛ لأن الإرادة والسعي في العمل الصالح إنما هو منتسب إلى الإنسان نفسه، وإن كان المُلقى في روعه من جهة غيره، حيث أن له القدرة على رفض أو قبول ما ألقي في روعه.

١٣ - إن الشيطان الرجيم يجلس على قلب المؤمن عند تلاوته لكتاب الله تعالى، لذا علينا الاستعاذة بالله تعالى منه. فالملاحظ لو أن أحدنا أخذ صحيفة فإنه يقرأها من أولها إلى آخرها بشوق والتفات، أما عندما يفتح كتاب ربه ويقرأ منه صفحات، فإذا به ينظر إلى ختام الجزء، وكلما قرأ سورة كان همّه متى يصل إلى آخرها!

١٤ - إن البعض تسوّل له نفسه اتّباع الشهوات فترة شبابه، معولاً

---

١) مصباح المتهجد، ج١، ص١٦٤.

على أنه سيتدارك ذلك الطيش بالتوبة مستقبلاً. والحال أنه ما الذي يضمن له أن يوفق لذلك؟ فإن الشيطان - كما يعبر القرآن الكريم - إذا ركب ابن آدم احتنكه حيث قال تعالى: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾[١] أي: يضع لجاماً في فمه ويسوقه سوقاً كالحمار! كما نراه في البعض حيث يخرج من طور التعقل والاتّزان في الأعراس أو الأسفار مثلاً، فلا يبالي بارتكاب المحرمات، وكأنه رفع عنه القلم ولا حساب عليه.

١٥ - إن البعض يسوّل له الشيطان ترك صلاة الليل بدعوى انها لا تنفع مع التثاقل، والحال أن نفس هجران الفراش الذي يعبر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[٢] أمرٌ ممدوح، ويؤجر عليه المؤمن. وقد ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: **«يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّ رَبَّكَ عَزَّوَجَلَّ يُبَاهِي الْمَلَائِكَةَ بِثَلَاثَةِ نَفَرٍ:... وَ رَجُلٍ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَحْدَهُ فَسَجَدَ وَ نَامَ وَ هُوَ سَاجِدٌ، فَيَقُولُ - تَعَالَى - : انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي! رُوحُهُ عِنْدِي، وَ جَسَدُهُ فِي طَاعَتِي سَاجِد»**[٣].

١٦ - إن الذي يستسلم لوسوسة الشيطان؛ فيرتكب المحرمات مرة بعد مرة، يجعل الشيطان معتاداً للوسوسة له، إلى أن يتمكن الحرام من وجوده، فلا يستطيع بعدها الخروج من مصيدته! ولهذا ورد: **«لَا تُعَوِّدُوا الْخَبِيث»**[٤]! والبعض بسبب معاصيه المتوالية يصل إلى مرحلة يكون فيها كالكرة بين يدي الشيطان، يقلبه كيفما يشاء! وقد تسلب منه العقيدة الصحيحة، ويدخل في مصاف الكفار والمشركين في آخر عمره.

١٧ - لا بد للمؤمن أن يراقب نفسه، ليكتشف مداخل الشيطان فيها، فالشيطان لا يريد من الإنسان أن يستسلم له في كل شيء، بل يكفيه

---

١) سورة الإسراء، الآية: ٦٢.
٢) سورة السجدة، الآية:١٦.
٣) الأمالي (للطوسي)، ص٥٣٤.
٤) الكافي، ج٦، ص٢٧٨.

أن يدخله من باب واحد؛ فيعشعش في وجوده! ففي جبهات القتال ترى جيش العدو يتحين الفرص ليجد ثغرة ينفذ من خلالها، ليقضي على خصمه، ويستولي على مملكته!

١٨ - إن القلب الذي سكنه الشيطان - ولو من باب واحد - لهو قلب شيطاني، والله تعالى لا ينظر إليه، ولا يجعل فيه من نوره شيئاً. ولهذا ينبغي للمؤمن الاستغفار الدائم، لكي لا يجعل للشيطان على نفسه سبيلاً.

١٩ - إن المؤمن حريص على مرضاة ربه، ويحاول أن يرفع عن طريقه كل عقبة تصده، ولو كانت نفسه التي بين جنبيه، كما نقرأ في دعاء مكارم الأخلاق: «**وَعَمِّرْني ما كانَ عُمْري بِذْلَةً في طاعَتِك، فَإذا كانَ عُمْري مَرْتَعاً لِلشَّيْطانِ، فَاقْبِضْني إليك قَبْلَ أنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إليَّ**»[١]، وليس غريباً أن يدعو المؤمن على نفسه بالموت، إذا كان بقاؤه في الدنيا، يبعده عن ربه، ويزيد من سخطه عليه، حيث إنه كلما طال عمره كثرت خطاياه، لمعلومية أن المصر على المعاصي بلا توبة فإن باطن الأرض خير له من ظهرها. فإذا كان المؤمن يتبرأ من نفسه، إذا كانت هذه النفس عقبة في طريق القرب، فكيف بالأموال وغير ذلك من العناوين الزائفة والباطلة؟!

٢٠ - إن من أهم عقبات الطريق إلى الله تعالى هو وجود الشياطين التي تغلي حسداً وحقداً على كل من يتمرد عليها، ويحاول الخروج من سلطانها، ولا شك بأن لها خبرتها العريضة في الإغواء منذ خلقة آدم عليه السلام، فهي بدلاً من إغواء غوغاء الناس فإنها تركز على العناصر المؤثرة في مسيرة الأمة، من أجل أن تودي بهم إلى الجهالة وحيرة الضلالة: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[٢].

---

١) الصحيفة السجادية، ص٩٤.
٢) سورة النساء، الآية: ١٢٠.



٢١ - إن الشياطين من أكثر الموجودات دهاء ومكراً في تحريف مسيرة الإنسان، وتكثّف جهودها على الذين وصلوا إلى درجات متميزة في التكامل، لعلمها بما يمكن أن يحققوه من البركات في هداية جمع من الخلق. وعليه فان جهده يوجهه إلى الشجرة المثمرة، حتى يقتلعها من جذورها.

٢٢ - إن الأولياء يخافون من الإدبار الاختياري عن الله تعالى، لعلمهم بالنتيجة الخطيرة المترتبة على ذلك، ألا وهو رفع الحصانة الإلهية! أَوَهل يرى راحماً بعده غير النفس الأمارة والشياطين المتربصة!

٢٣ - إن الحركة الشعورية ندماً وبكاءً إذا لم تنته إلى حركة جوارحية إيجابية تدفع بصاحبها إلى الأمام، وتصلح ما تم إفساده في المجتمع، فلا كثير نفع فيها! بل إنها قد تكون من تسويل إبليس، تخديراً وصدّاً عن تغيير الواقع المنحرف.

٢٤ - إن الإنسان منذ ولادته تبدأ حركته التكاملية، فينتقل من منزل إلى منزل، فهو في سفر دائب، ولا بدّ له من راحلة وزاد، وهنالك عقبات وقطاع طرق، ومن هنا يحتاج في طريقه إلى رائد يدله على الطريق، ويستكشف الأعداء الظاهريين والذين هم في الخفاء، وعلى رأس الأعداء الشيطان الرجيم.

٢٥ - إن الشيطان حقيقة راهنة، وهو من الأعداء الذين لا نراهم، ولولا أن الله تعالى ذكره في كتابه الكريم لما صدّقنا وجوده وعظيم كيده. وهنالك بعض الموجودات سوى الشيطان من التي لا تُرى بالعين المجردة كالجراثيم، والإشعاعات الضارة. ولكن الإنسان بإمكانه تجنب ضررها بعدم الاقتراب منها، بخلاف الشيطان الذي لا ينفك عداء وتربّصاً لبني آدم!..

٢٦ - إن الشيطان من ألد أعداء الإنسان؛ لأنه منذ خلق آدم بدأت

شقاوته، ولحقته اللعنة الأبدية من الله تعالى والملائكة والأنبياء والمرسلين بل من الناس أجمعين، وهو الذي كانت له عبادة متميزة، ولهذا فإنه في مقابل هذا الحرمان العظيم، توعد بالانتقام المروع من بني آدم. ومن المعلوم أن هنالك عدم تكافؤ في المواجهة، فالحرب إذا كانت بين جيشين متكافئين من حيث العدد والعدة، فمن المحتمل أن ينتصر أحدهما، ولكن لو كان الطرف المقابل هو الأقوى، فان النتيجة معلومة إلا أن يتدخل مقلب القلوب في تغليب إحدى الكفتين وهو ما وعد به أولياءه حيث قال: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

٢٧ - إن القرآن الكريم ذكّرنا بعداوة الشيطان لنا، وأمرنا أن نتخذه عدواً، فليس من المنطق أن يكون هنالك عدواً يكيد لنا صباحاً ومساءً، وفي كل الأحوال إلى حين الوفاة ولا نعاديه ونعيش معه هذه الحالة من اللامبالاة!

٢٨ - إن من عناصر قوة الشيطان أنه موجود لا يرى، فإن العدو الذي لا يُرى تكون مواجهته مستحيلة، فكيف إذا كان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق؟! فلو فرضنا أن هناك إنساناً له خاصية الاختفاء، وحينئذ أليس بإمكانه أن يقاتل بمفرده جيشاً غفيراً ويقتلهم واحداً واحداً ممن لا يرونه؟!

٢٩ - نحن ليست لنا خبرة في مواجهة الشيطان إلا ما ذُكر في الآيات والروايات وما ذكر من مواجهة الشيطان مع الأنبياء. أما الشيطان فإن له خبرة عريقة في الإغواء، وعمله كان مع الأنبياء والمرسلين والأوصياء والصالحين، فنحن الضعفاء كيف يمكننا مقاومة هذا العدو لولا الاعتصام الحقيقي بالله؟!

---

١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

٣٠ - إن من عناصر قوة الشيطان كثرة أنصاره وأعوانه، فهنالك الشيطان الكبير الذي أغوى أبانا آدم، وأعوانه مبثوثون على وجه الأرض، وكل من يعشُ عن ذكر الله تعالى - بصريح القرآن الكريم - له شيطان قرين، بالإضافة إلى أن الكثيرمن الناس هم أدوات بيد الشيطان يحركهم كيفما أراد.

٣١ - إن الشيطان إذا يئس من صد المؤمن عن فعل الخير، يؤلّب عليه من حوله، وإذا به يوقع عليه الأذى من حيث لا يتوقع ولعلَّ ذلك يأتي من أقرب الناس إليه؛ من أجل صدّه عن سبيل القرب من خلال غيره؛ فالشيطان إذا عجز عن إغوائه فإنه يحاول مع الضعفاء ممن حوله الذين يمكنه التأثير عليهم بإشارة واحدة، فهو بذلك قد أوجب له ما يوجب انشغال البال وتشويش الخاطر، ولهذا ينبغي للمؤمن دائماً أن يبعد نفسه عن المشوشات؛ لأنها من أشد العقبات.

٣٢ - أُمرنا أن نتخذ الشيطان عدواً لنا، بأن نبادله ولو جزءاً من تلك العداوة، والحال أنه أقسم بعزة الرب على إغواء الناس أجمعين، فالقلب قد يكون خالياً من أية عداوة له، ولكن مع التلقين المستمر والالتفات إلى سبل كيده فمن الممكن أن تصبح عداوته حالة راسخة في نفس صاحبها.

٣٣ - إن الشيطان في المرحلة الأولى يحاول أن يصدّك عن أصل العمل، ولكن مع التمرد والمقاومة يكتفي بعدم تمام العمل، فيقول - مثلاً - : صلِّ في المسجد ولكن إياك أن تخشع! اقرأ القرآن ولكن إياك أن تتدبر! وهكذا يحقق مراده في الانتقام. ولهذا أُمرنا بالإستعاذة قبل قراءة القرآن الكريم؛ لأنه قد يكون غافلاً عنك، ولكن ما إن نويت عملاً صالحاً وسوس في صدرك، لصدّك عن الطاعة التي تغيضه!

٣٤ - لقد أُمرنا بالإستعاذة من الشيطان والتي هي في جوهرها حركة

قلبية، فيها خوف، وتستتبع الفرار واللجوء إلى ذلك الحصن المنيع، وليست مجرد أذكاروأوراد يرددها اللسان! فالذي يخاف من الحيوانات المفترسة، يطلق ساقيه للهروب بأقصى ما في وسعه وطاقته، متجهاً نحو ذلك الحصن. وإن وصل اليه يطرق الباب بشدة ويستنجد مستنجداً، إلى أن يُفتح له ويدخل مأمنه مطمئناً. وأما الذي يكتفي بالإستعاذة اللفظية، ويكون في سلوكه اليومي عبداً للشيطان، ولا يتقدم خطوة نحو الحصن، فهل يكون مستعيذا؟!

٣٥- ليس الفخر أن لا تخطئ، ولكن المؤمن يتعلم من أخطائه السابقة، فإن المؤمن كالسنبلة، تخرتارة وتستقيم أخرى؛ فقد تمرعليه عاصفة شيطانية، ويميل معها يميناً وشمالاً، ولكنه بعدها يتذكرويعود مبصراً لطريق الهدى.

٣٦- لا يأمن من شر إبليس - بصريح القرآن الكريم - إلا من كان مخلَصاً، والمخلَص هو الذي كان مخلِصا أولاً فجاهد وكابد في قطع المسافات، متحملاً وعورة الطريق ومواجهة العقبات، فانتصر تارة وخسر أخرى إلى أن تجاوز طريق الإخلاص بنجاح. ولما وصل إلى باب الحصن أخذ يطرقه مستغيثاً حتى إذا فتح له الباب دخل الحصن وكان في زمرة المخلَصين، وعندئذ لو اجتمعت عليه شياطين الأنس والجن، لما أمكنهم اقتحام قلعة رب العالمين، التي تحمي من صنعه على عينه، واصطنعه لنفسه.

٣٧- إن الشيطان لحقته اللعنة الأبدية، وسقط من عين الرحمن بمعصية واحدة؛ فلنحذرهذا السقوط، ولا نحتقرمعصية، فلعلها هي المهلكة، فلا تنظرإلى ما عصيت، بل انظرإلى من عصيت!

٣٨- إن الشيطان يترقب الغفلة من المؤمن ولو من غيرعمد، كما لو كان معذوراً بالانشغال المباح إشباعاً لشهواته بما أحل الله تعالى. فإن

المقاتل لا بدّ أن يكون يقظاً، ولو غفل لحظة واحدة عن سلاحه، فإن عدوه المتربص به يهجم عليه هجوماً يكون فيه هلاكه أو ضرره.

٣٩ - إن مسألة مواجهة كيد الشيطان من أعقد مسائل المواجهة، وذلك لأن هذا العدو اللدود، يجمع بين «خاءات» ثلاث: الخفاء، والخبث، والخبرة: فمن ناحية، يرانا هو وقبيله من حيث لا نراه، ولنتصور معركة أحد طرفيها جيش مدرب لا يمكن رؤيته، أوهل يمكن للخصم أن يقاوم ذلك الجيش لحظة واحدة؟ ومن ناحية أخرى، يعيش حالة الحسد المتأصل لبني آدم الذي كانت خلقة أبيهم آدمعليه السلام مصادِفة لأول أيام شقائه، ومن هنا أضمر الحقد الدفين لاستئصال الجنس البشري، وسوقه إلى الهاوية. ومن ناحية ثالثة له تلك الخبرة العريقة في عملية الإغواء، والتي شملت التعرض لمسيرة الأنبياء والمرسلينعليهم السلام وإن باءت بالفشل بالنسبة لهم. ولكن ما حالنا نحن الضعفاء والمساكين لولا ما دلّنا الله تعالى عليه من الالتجاء إليه بالاستعاذة تارة:﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾[1]، وبالذكر تارة أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[2].

٤٠ - إن مما يسهّل على الشيطان عمله في إغواء بني آدم: أن نقاط ضعف الإنسان منذ خلقة أبينا آدم معروفة، وهي متمثلة عموما في: الشهوة، والغضب، والمال، والجاه. وحتى لو قلنا بأن الطبائع مختلفة، فإن محاولته لإغواء أشكال متعددة من البشر أكسبته خبرة عريقة.

٤١ - إن من سبل الشيطان في الإيقاع بضحاياه في الرذائل الكبيرة: التدرّج في الوسوسة؛ لعلمه بأنه لن يطاع لو وسوس للضحية بإلقاء نفسه في التهلكة مثلاً، ولكنه يجره إليها جراً إلى أن يقع فيها! والقرآن

١) سورة فصلت، الآية: ٣٦.
٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

الكريم حذّرنا من اتباع خطوات الشيطان، وعدم الاستهانة بالمعاصي. فيقول الشيطان له: انظر إلى هذا الحرام ثم الى حرام آخر وهكذا حتى يجد حلاوة الحرام، ويفقد السيطرة على نفسه، فتراه يلهث ويلهث وراء هذه الملذات - وإن كانت موهومة لا حقيقة لها - إلى أن يهلك!

٤٢ - إن البعض يركبه الشيطان كالمطية، يحركه بإشارة نحو ما يريد، مثله كالحمار، الذي وضع اللجام في فمه. فالحبل بيد راكبه، يسوقه إلى حيثما شاء، ولو أراد أن يخرج من سلطانه، سحب حبله قليلاً قليلاً، وإذا به يرجع إلى حيث يريد! فيا له من تحقير عظيم لمن خُلق في أحسن تقويم، وإذا به يهوي بإرادته إلى أسفل سافلين!

٤٣ - إن البعض يوقعه الشيطان في مستنقع الفواحش، فلا يدع معصية إلا وقد ارتكبها، وقد يتوب ويخرج منه إلا أن تذكر تلك المعاصي ينغّص عليه عيشه فيمقت نفسه، ولكن ليعلم هذا التائب أن الله تعالى حبيب العاصين، ويحب بكاء وأنين التائبين، وليحذر من الشيطان الذي يستغل هذه الحالة، ليجعله ييأس من رحمة الله تعالى، ولا يفكر في العروج والتسامي، فيثبط همته عن الكمال ليعيده إلى ما كان عليه.

٤٤ - كلّما ترقّى الإنسان في سلّم التكامل، وتخلّى من الشهوات - معنوية كانت أم مادية - ضعفت سلطة الشيطان عليه؛ لأن الشهوات مصائد الشيطان التي يصطاد بها، فيتحقق مراده في الانتقام منه!

٤٥ - إن من مواطن سيطرة الشيطان على العبد هي مجالس الغافلين المسترسلين في الباطل. فإن كنت ملزماً في العمل بمعاشرتهم، فتعامل معهم بمقدار حاجتك منهم أو الواجب فقط، ولا تأنس بأحاديثهم، فإن معاشرة الغافلين - وخاصة إذا كانت لسنوات طويلة - من موجبات قسوة القلب، والوقوع في فخ الشيطان!.

٤٦ - إن للشيطان مواطن يصول فيها ويجول، ومنها الأسواق، ومن

المعلوم أن الأسواق مواطن الغفلات لشدة ارتباط الدنيا بها، وحيثما حلّت الغفلات حلّت الشياطين، فإن ذهبت إلى تلك المواطن، فعليك أن تتدرع بأقوى سلاح متمثل بقراءة ما ورد من المعوذات، وليعلم أن الذكر والشيطان ضدّان لا يجتمعان، فما إن يذكر العبد حتى يخنس الوسواس، وأيضاً، بتشديد المراقبة على النفس لئلا تطمع فيك الشياطين! وأخيراً فمن المعلوم أن ذاكر الله تعالى في السوق وبين الغافلين كالمقاتل بين الفارين!

٤٧ - إن البعض يصل إلى درجة من التسافل الروحي بحيث إنه لا يعد من أتباع الشيطان فحسب، بل قريناً وأخاً له، وهم أدوات بيده! ولك أن تتصور إنساناً يمشي وخلفه ظل أسود قبيح يحركه يميناً وشمالاً! أمثل هذا إنسان يمكن أن يعاشر؟! أمثل هذه المرأة يمكن أن تغريك؟!

٤٨ - إن من الوسائل التي تمكّن الشيطان من التصرّف في الإنسان، هو: التعامل بالربا، فترى صاحبه كالمجنون يقلبه الشيطان كيفما يشاء! فالذين يتعاملون بالربا، وإن كانوا عقلاء بحسب الظاهر، ولكنهم بحسب الباطن مسلوبي العقل، ويلعب بهم الشيطان الخبيث كيفما يشاء، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[1]!..

٤٩ - إن من أساليب الشيطان هو التلقين والوسوسة؛ لصدّ الإنسان عن طريق الخير، وخاصة في ساعة الضعف والغفلة؛ فتشعر وكأن أحداً يتكلم معه، ويحثه حثاً على فعل الحرام، من خلال التلقين بأن هذا حرام هين، وهنالك مجال للتدارك بالاستغفار والتوبة! والحال أنّ أقل ما يوجبه هذا الحرام - مهما صغر - هي ظلمة القلب!

٥٠ - إن الحزب عبارة عن جماعة يسعون لتحقيق هدف في المجتمع، فمن كان هدفه إلهياً، صار من حزب الله. وأما الذين يتبعون خطوات

١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

الشيطان، فإنهم يدخلون في حزب الشيطان، وسوف يحاسبون في يوم القيامة على كل من تسببوا بانحرافه.

٥١ - ينبغي للمؤمن أن يلقّن نفسه عداوة الشيطان، حتى يستشعر في قلبه هذه العداوة، و لتنعكس آثارها على جوارحه، بالفرار منه، وعدم اتباع وساوسه. فإن الخطوة الأولى للخروج من قبضته بل دفع سيطرته هو حمل عداوته.

٥٢ - ينبغي للمؤمن أن يكتشف مواطن الضعف عنده، فإن لكل إنسان ثغرات ينفذ من خلالها الشيطان، ومنها: النساء، والغضب، والمال، والشهرة، ومن المعلوم - كما ورد - أن المؤمن لا يخلو من حِدّة، فهذا مدخل الشيطان في أغلب المؤمنين. وينبغي أن يشدد على نفسه المراقبة في ساعات الضعف عند مواجهة ما ذكر، ويتجنب المواطن التي قد توقعه في الزلل.

٥٣ - ليس غريباً أن يدعو المؤمن على نفسه بالموت، إذا كانت حياته غير مثمرة إجمالا في طاعة الله تعالى، ومقدمة لإغواء الشيطان اللعين، ولا يزيده مضي السنوات إلا ذنوباً! ومن هنا فإن المؤمن يخاف من أي شيء يشغله عن الله تعالى، كخوفه من الشيء المخوف ولهذا فإن من أدعية المؤمن قوله: «اللهم اقطع عني كل شيء يقطعني عنك»!

٥٤ - إن القلب إذا لم يمتلأ بذكر الله تعالى، فإنه يمتلئ بوسوسة الشيطان، فليس هنالك حالة وسطية، فالقلب إما أن يكون مرتعاً للشيطان، وإما أن يكون مهبطاً لأنوار الرحمن، حيث إن الله تعالى لم يجعل لرجل قلبين في جوفه وهو المجرّب عملاً حيث لا يُقبِل القلب على جهتين في آن واحد.

٥٥ - من المناسب أن يراقب المؤمن شكله الظاهري، إذا كان في حالة الغضب، بأن يعيش حالة من الاثنينية، وهو ينظر إلى صورته في

المرآة، ويقيِّم هذا الشخص الذي يراه على أنه إنسان آخر، ويحكم على تصرفاته وشكله؛ ليرى كيف أن الشيطان يتمثل في صورته! وعندئذ لا بدّ من مراقبة باطنه، والنظر إلى دواعي هذه الخصومة، وهل إنها رحمانية أو شيطانية.

٥٦ - إن تأثير بعض أهل الضلال يفوق تأثير الشياطين! فالشياطين لا يتجاوز عملها الوسوسة، ولكن هؤلاء يجرونك جراً إلى مستنقعات الرذيلة، وقد يجبرونك على ارتكاب الحرام جبراً!

٥٧ - إن الله تعالى يأمرنا بالإستعاذة عند قراءة القرآن الكريم؛ لأن الشيطان الخبيث يحول بين المؤمن وبين الاستفادة منه، سواء من جهة التلاوة، أو التدبر فيه، إلى درجة أن أحدنا يقرأه فإذا حاول أن يتذكّر آخر آية قرأها، لا يتذكر شيئاً من كلام الله تعالى!

٥٨ - يتحوّل الإنسان في حال الغضب إلى ألعوبة بيد الشيطان، فلا يمكنه أن يسيطر على فكره وبدنه، فإن كان غضبه للحق - على زعمه - وأراد النهي عن المنكر، فليعلم بأنه بهذه الأسلوب يفوّت على نفسه فرصة التأثير على الآخرين!

٥٩ - إن الذي له قدرة السيطرة على أفكاره، فإن الشيطان لا يستطيع أن يدخل له من باب الهواجس المقلقة والأفكار المحزنة والمشوشة؛ لأنه يتحكم فيها بالتحكم في مناشئها.

٦٠ - إن المؤمن يحتاج إلى فترات من الخلوة؛ للتأمل في حاله بالبحث عمّا يمكن أن يوقعه في مصيدة الشيطان، أو عمّا عليه من حقوق للخالق أو المخلوقين. ومن أفضل الأوقات للخلوة مع النفس ومحاسبتها: عقيب الصلوات الواجبة، وصلاة الليل، وخاصة إذا كانت في بيت من بيوت الله تعالى، أو مشهد من مشاهد أوليائه، وفي ليلة مباركة كليلة الجمعة.

٦١- إن معرفة النفس تتجلى في معرفة التركيبة العامة للنفس البشرية، وفي معرفة تركيبة نفسه بالخصوص، أي: ما هي عيوبها، وما هي الثغرات التي يمكن من خلالها أن يتسلل له الشيطان، فلكل إنسان تركيبته الخاصة به والتي تؤثر فيها عوامل كثيرة.

■ ■ ■